إشراقات أدبية

قصص قصيرة ٩٥

ثقب فى جدار الذاكرة

أمين الصيرفى

دراسة:
د. نبيل راغب



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

الإهــــداء

٠٠ الى الليل ٠٠ القمر ٠٠ ليالى الحزن ٠٠

وأحلام لا تنتهى ٠٠

ـ أمين الصيرفى ٠٠

المطاردة

•• فوق الردهات الخاوية • حينما تسقط الأضواء وتبدأ فى التلاشى تبقى مساحات الظل العريضة فوق الطريق الممتد كالجسد الميت • والظلمة ، تخفت الأصوات الصاخبة فى جوف الليل البارد وترتفع همهمات أوهام ليلية بين الحين والحين تزداد حدتها كلما توغل الظلام •• تظهر بعض الأضواء على بعد سحيق ببريق خاطف فى الظلمة الداكنة ، مرة ثانية • تختفى وتظهر ، تصحبها أصوات حادة • تسرى فى بدنى قشعريرة ورهبة • تيار بارد يتسرب من كوة فى الجدار • الباهت فى جانب الردهة • أحس أشياء متلاحقة تسير أمامى ، تحوطنى ، تلامسنى ، تجعلنى أتكور كالجنين ، بسرعة أتجه ناحية احدى الغرف المهجورة الخاوية ، دقات ساعة الحائط المتتابعة أثارت أعصابى • شعرت

بالتوتر والاضطراب • ستائر النافذة الشفافة الثقيلة تتأرجح • كانت الغرفة خاوية ومظلمة الا من بعض اللعب التي كانت لى وأنا صغير وبعض الأساطير القديمة • اضطرب قليلا حين أتذكر • اقتربت بهدوء من برواز عتيق معلق على الحائط وتحت الضوء الساقط تبدو اللوحة الشاحبة لتظهر ملامح ناقصة لخطوط زيتية • متقطعه أكلها الزمن ، الرؤى مبهمة ومتداخلة ومازالت الأجسام الهلامية تلاحقنى • أينما ذهبت وتنظر الى فى ترقب • نظرت الى السقف الخشبى والسواد يغطيه ، تتداخل الخطوط ، تتشكل فتصنع دوائر تضيق وتتسع أشعر أن روحي المضطربة تصعد بعيدا عن جسدى وتحلق فى الأفق نظرت الى الباب •• فى ترقب • وفجأة ! •

اقتربت حشرجات مبحوحة •• تقترب ، تتلصص من خلف الباب الموارب •

أحسست بالخطر القادم • كل شىء يهتز من حولى ويتهاوى • كل شىء يتتابع في سرعة ، أنتصب فى مكانى ، أرتجف ، أنتظر قليلا وبقوة أندفع هاربا •

ظهر بجسده الأسود والرأس الكبير والشعر الكثيف • يتطاير الشرر من عينيه وملامحه الوحشية • كشر عن أنيابه المدببة الصفراء • وبسرعة اتجهت نحو الخارج • من الشرفة فى الطابق السفلى قفزت ، أعقب

ذلك صوت ارتطام ساقى بالأرض فى قوة . شعرت أن عظامى تهشمت .

. الأبعاد المترامية ، الوحش الراكض خلفى . هناك عند ذلك الشاطىء البعيد الممتد الى مالا نهاية . أجرى .. تزداد فتحة قدمى اتساعا . الرياح الباردة تقاومنى . أندفع ، ذلك الوحش مازال يعدو خلفى ، أحس بنقطة السقوط قد اقتربت ، الظلام يتدفق بغزارة فوق الرمال . وهو يتشمم رائحتى ــ يتبعنى . تزداد الحشرجة والهمهمات « يزووم » بصوت متقطع . يغرس الخوف فى أحشائى .. استقرت الأنيــاب الحادة فى لحمى . تمزقت . شعرت بدفء الدم فوق جسدى المنهوك أعدو فوق رمال الشاطىء الرمادية البــاردة ، رءوس الأحجار المدببة تنغرس فى قدمى . أحس بوخز شديد ، ألهث ، أكاد أسقط من شدة التعب .. المسافة تقل بينى وبين ذلك الملعون الأسود . أصرخ . أستغيث، أشعر بقرب الخطر . أخيرا سقط جسدى غطاه الطين.. والألم ، أتقلب ، أتدحرج ، أندفع الى الامام ، أنكفىء على وجهى ، لا ، لن أستسلم أبدا يجب أن أقاوم . لن أقف عاجزا أمام ذلك الملعون . غرز أنيابه فى ساقى ، أنتزع نفسى .. أقاوم . ومرة ثانية يغرس مخالبه فى لحمى . انتفضت داخل الطين . تشبثت به . استجمعت قوتى وأزحته بعيدا . وجريت بعيدا عنه وقفت قليــلا .. تنفست بصعوبة . انتظرت حتى اقترب ، اندفعت

نحوه ، قابلتــه بركلة عنيفة ، أحسست بلزوجة الدماء في قدمي الممزوجة باللعاب الرغوى المتساقط من جانبي فمه • انكفأت ثانية تقطعت أنفاسى اللاهثــة ، بدأت أتنفس بصعوبة بالغة والظلمة تفقدني الرؤية • أتمدد فوق الفضاء اللانهائي • أحتضنه في عنف وفوق الرمال الباردة • انطرحنا أرضا أتقلب فوقه ينقلب فوقي •• تذوب الأجساد في الطين تمتزج أنفاسى برائحة الدم ، أشعر بقرب الموت الجاسم على صدرى صرخت من الالم• بدأت أضغط على عنقه بكلتا يدى • بدأت قواه تخــور استمر • تسكن النبضات وتغوص في الوحل • سكنت الأصوات • تلاشت في حضن الليل • استقرت الجثــة بين يدى فوق الطين الممزوج بالدماء •• شعرت بالتعب يأكل كل جسدى وبسخونة الدموع التي تســاقطت من عيني رغما عنى •• رقدت بجانبــة • كل شيء يهــرب ويختفى من أمامي •

• تنسحب خيوط النور خلف الغيمــة البعيــدة ، تغور للداخل • نظرت الى الأفق البعيد بتثاقل ••

شعرت أنني أريد أن أبتسم •••

ورحت في شبه اغماءة ••

لبعض الوقت

ـ استند الى الحائط المهترىء المتسخ بكتفه ، وتكأ على عصاه ، أخذ يسعل بشدة • أثار تراب الجدار ، انحنى لحد الاقتراب من الركوع •

ـ تململ الطابور ، نظروا للخلف ناحية الرجل ، تلاصقوا ، لكن أحدا منهم لم يترك مكانه ، عادوا فصدوا أيديهم للبائع •

ـ الحديث والصوت الحاد ينخر عباب الهواء ، التجمع لا ينفض •

ـ هرولت فجأة ، قبضت على الطفل الصغير المنطلق لقلب الشارع صارخة فيه ، ظلت تضربه بعنف ، تأفف الرجل الواقف بجوارها •

ـ كان الموج فى تلك الليلة جبارا ، كالخيل المائجة فى وسط العاصفة .

ـ علا صوت الأم من النافذة يذكر الفتاة الصغيرة بالخبز الساخن والحرص على طبق الفول ، نظرت لأعلى وهى تسير ، انتبهت لصوت الدراجة المارة بسرعة والفتى البهلوان يقودها .

ـ الطابور يتلوى كالثعبان ، الرجال يحرقون السجائر وبعض أحاديث السياسة والنساء تلتهم فتات حياة أناس أخرى .

ـ قام الطفل مذعورا ، نفض ملابسه ، تلفت حوله خائفا من أن تراه أمه . رأى الدم على قدميه فأخذ يبكى .

ـ الشراع تمزق وضل القارب فى قلب الريح .. آه .. لو دخل الماء لقلب القارب . وصوت صراخ اليم .

أسندت رأسى للحائط وطرف اصبعى فى أذنى .

.. هدأ الموج لبعض الوقت

جـدار بارد

ــ كان الجدار فى ذلك الوقت مندى بماء بارد ٠ ذكرنى بثــلاجة المشرحة وبرودة الجثــة الراقدة تحت غطاء أبيض ٠

عندما أخذونى فى ذلك المساء كى أتعرف عليهــا بعد الحادث ٠

ــ الكتــاب الجــامعى فى ذلك الــوقت ثمنه سبعة جنيهات بثمن كيلو اللحم ٠

٠٠ لكنها أكثر مبيعا ٠

٠٠ دخول الجمعية أصبح شــيئا صــعبا والســوق السوداء أقصى من مرتبات الحكومة ٠٠ أما دخول الكلية فشىء سهل بسهولة الغش فى الثانوية العامة ٠

اعتقدت عنــدما رأيته عن كثب لأول مرة وهــو

متجمد أنه فى حدود الخامسة عشر عاما أو أكثر قليلا ٠

ـ أكدت للطبيب أنه هــو لا أنسى جبهتــه الملطخة بالدم وابتسامته الرقيقة المرسومة على وجهه ٠

ـ الشعر جريمة تعادل جريمــة الطائر المجــروح واشتهاء الحرية هرطقات وثنية بلون دماء الصبى الممد جامدا ٠

ـ فى السيارة كنت أشعر أن قلبى ثقيل يتثاءب ٠ رأيت الصبى تصدمه السيارة ٠٠

رجوت السائق أن يتوقف كى ينقذه ٠ رفض منعــا للمشاكل ٠ رجــوته ٠٠ رفض باصرار ٠ خاف من ان يتورط ٠

ـ رجوته أن يتوقف كى أنزل أنا بمفردى وليذهب هو للجحيم ٠

ـ بسذاجة الطفل ٠ حبيبتى تفــكرين ٠ كيف ؟ يحب الناس كل الناس ؟

كيف يكون الأمن فى كل الدنيــا ما دمنــا نخــاف المباحث ونمتهن فى طرقات مدينتنا وما دامت حريتنا على حد سكين ٠٠

ـ وفى الصباح الباكر ٠ خرجت من قسم الشرطة ٠٠ متعبا جدا استندت على الحائط الممتد ٠٠

شعرت ببرودته وبسخونة رأسى ٠٠

دخــان أزرق

بعــد صلصلة المفتــاح فى ثقب البــاب ٠ تصرخ الموسيقى الحانية فى أرجاء الغرفة : تتبدل وفى صوت الهمس ٠ أسألها ٠

ـ تعجبك هذه ؟

ـ لا أريدها أكثر جنونا ، وثورة ٠ دعهــا تمزق هدوءنا فتجعلنى أنسى كل شىء وحتى همومى ٠

ـ ستعجبك هذه ٠٠ أحب صوت الطبــول تجعلنى أشعر أننى فى غابة أفريقية فى زمن الأحــراش وآكلى لحوم البشر ، خطوط على الجبــاه ، أشــياء مدلاة من الأعناق والأنوف ٠ الجلد الممزق والسحر الأسود ٠ كل شىء مباح بحد السكين والبقاء للأقوى ٠ هناك فى غابة سوداء ٠ أماكن لا يعرفها بشر لكل شىء أنياب وأظافر٠

• الآن • خذى يدى ، دعينا نرقص رقصة المطـر الأخيرة • نرقص حفاة الأقدام عراة الصـدور • حتى ننسى من أى غابة نحن • أو •• نرقص رقصة العرس بعدما قتلت جميع رجال القبيلة لأجلك كى أفوز بك • هلمى لمعبد الموت نرقص قبل تقديمنا ضحية لذنوب تلك القبيلة • قبل أن نموت يجب أن نظفر بكل شىء •

• نحوم فى الغرفة دوائر •• دوائر •• تتراشق الخطوات • تتبدل • ننسى كل شىء • نخرج عن طـور الرقص لطور الثورة والتمزيق •

يبدأ • يتصاعد • يملأ سـقف الغرفة •• دخان أزرق ••

الحركات عشوائية • همجية كجنين • كبركان مل الانتظار • أحتضنك أعتصرك • نتدانى • نتباعد • يزداد التلاصق وتنفجر أسراب الطيور فى السماء •

• يفور جسـدك بين يدى • أعـرف قرب مجىء العاصفة تشهرين مخالبك تستدير عينـاك • تبرق • تتحولين لهرة تموء تحت ضغط ذراعاى تنفلتين منى • تهربين وتعودين برغبتك المدللة • تضيق عيناى تكسو الرغبة جسدى • تستحيل أطرافى نهرا لا ينتهى •

• قرع الطبول وصوت الرهبة الممزوج بطعم الألم • أجرى خلفك أنقض عليك • أعتصرك فى صـدرى •

تموئين · تصرخين · تنشبين مالبك فى ظهرى تلتهمين كتفى · ألقى عنك ملابسك وهنى وأبدأ فى استعمار كل جزء من جسدك ·

· ألتهمه بلا رحمة · أمزق أوصالك · تجرحين جلدى ينزف الدم منى · أصنع من صدرك شلالا · أزرع أشجارا فى أنحائك وثناياك الجميلة ، ألتحف الدفء فى أخاديدك ·

· اركعى ·· اركعى الآن ·· اطلبى منى أن أجلدك بالسـوط أو أن أقتلك كى أريحـك · دعينى أمزقك بالسوط لا تتعجلى الموت الجميل · سأمنحك بعض الخدر · خذى استنشقى هذا · دعيه ينفذ لداخلك · فيفقـدك معنى الحياة · يقتل الدفء فى قلبك ويوقد عظامك لهيبا فى هشيم كى تعرفى أن الموت حلم جميل ·

لا نستطيع أن نحصل عليه · اخلعى عنك حياءك · دعى صدرك كحمامة فى يدى أرهقها التحليق ·

· التهم ما تبقى من مروج خضراء وقمـم حالمة ، اغمسى نفسك فى تملك تطفئين النار المتقدة فى داخلك · دعينى أقتل نفسى بك ·· أرقص · أطير · أتعب ·· الى أن أنسى جسدى المنهك · أظنه ليس جزءا منى ·

تستمر الموسيقى فى الصخب · تئن · تتداح الغرفة دخانا أزرق ورائحة غيوم · ما أجمل أن أعذبك وأعذب نفسى ·

أعرف ساديتي ونرجستي · حتى هذا لا أنكره وأنا في ذلك الخدر الجميل ·

ان قلبي يتوقف · كل شيء يرتجف · حتى الأضواء تذهب بعيدا ·

جسدي يتيبس · العجز يدب في جميع أطرافي · أسقط بجانبك تنهار كل ادراكاتي · لم أعد أعي شيئا أو حتى التفكير في شيء الألم يفجر رأسي ·

لا أستطيع الا أن أتمنى النوم ·· أو الموت ·

ورقة أخيرة من مذكرات طفل

أقدامنا ·· تكاد لا تصل الى الأرض
نجلس فى وداعة على الدرج الخشبى
بالملابس المدرسية النظيفة ·· والأقلام الجديدة
نضحك ·· نمرح ·· نكتب
ولا نعرف ماذا سيحدث
قالت المعلمة أكتبوا معى ·· أحب مدرستى ·
·· مدرستى (بحرالبقر)·· وضحكنا من قلوبنا الصغيرة
وقالت المعلمة
أحب مصر ··· « صوت أزيز الطائرات المرتفع »

تضايقنا ·· ابتسمنا ·· وكتبنا أحب مصر
أحب السلام ···
ومددت يدى الى القلم ·· « صوت انفجار مروع ·· »
تناثرت أشلاؤنا ·· تمزقت الصفحات البيضاء
أحب مصر ·· أحب الـ ·· س ·· لا ·· م ·
آهات وأنين ودماء ·· أحب السلا ····
ويستمر صوت الأزيز والقنابل
أطفال تموت وتشوه ·· أحب الـ ···
ويسكب القلم الحبر على الورقة ··
··· وتظلم الدنيا ···

الكابوس

ـ اليوم الأول ٠

فجأة يظهر أمامى كومة كبيرة من أرغفة الخبز ، كنت جائعا جدا فمددت يدى الى رغيف، شققته فسقطت منه قطعة حجر ، أخذتها ووضعتها جانبا ، هممت ان أضعه فى فمى ، أطلت منه رأس ثعبان قبيح المنظر ، ألقيت به على الفور للأرض فخرجت منه ثعابين كثيرة أثارت رعبى ٠ زحفت ، تراجعت للخلف ، اصطدم ظهرى بالحائط ، اقتربت ، تلاحمت ، تسلقت على رجلى اختنق صوتى ٠٠ جعلتنى أفقد القدرة على التحرك ، انعقد لسانى ، ظلت تزحف وتزحف، تتلوى حتى التفت حول عنقى ، تخنقنى ٠٠ وأنا أحاول أن أقاوم ٠ تخنقنى ٠٠ أصرخ ٠٠ أصرخ ٠٠

حتى كاد رأسى ينفجر ·

ـ اليوم الثانى ·

القاعة فارهة ، خالية ، ساكنة ، جدرانها مزينة بلوحات جميلة بألوان شفافة ، صوت رقيق لموسيقى نسيمية الألحان تتصاعد ، شعرت أننى أكاد أطير من على الأرض ، أرقص كالفراشة ·· « وفجأة » صمتت الموسيقى ، توقفت عن الرقص ، الضوء اصبح أكثر اعتاما ، صوت ريح تصفر · تظلم الدنيا ، يزداد الضجيج ، اللوحات تتلاشى ·· ، الجدران تذوب كقطع الثلج ، تتحول الأنوف وشفاه وعيون ·· يزداد الضجيج · اضع يدى على أذنى ، تزداد الأتربة تملأ أنفى وعينى ، تستحيل الجدران بشرا قبيح المنظر ، لا حصر لهم ، أخذوا يشيرون الى ، يتهامسون ، الصوت يعذبنى ، ضاقت الدائرة من حولى ، ضاقت وضاقت شعرت باختناق ، مد كل منهم يده الى بوجوه رخامية جامدة ، أعين بشعة ، يأكلون من جسدى فى شراهة ، الدماء تقطر من أفواههم ·· أتألم ، أصرخ ، أحاول أبعادهم ·· أختنق ·

ـ اليوم الثالث ·

قيد فى معصمى ، ضخم وثقيل · لا أقوى على رفع يدى بالقلم الممدود قليلا على كفى ، مصلوبا على

خطوط الوهم · قيدت بجانب مكتب عال لرجل ضخم الجثة ، جلس مبتسما وأنا قابع بجانبه أمامه فنجان القهوة وفى يده سماعة الهاتف · وضع أمامه ورقة كبيرة وقلما اسود · ترك سماعة الهاتف · نظر الى أحد الموظفين ، أشار له بالانطلاق · ثم مد قلمه الجارح ، فتح به جمجمة رأسى من أعلى شقها نصفين ، مد يده الى الفتحة النازفة ، أخرج جزءا من عقلى الأبيض المليء بالشرايين · رسم عليه علامة (×) خطأ قائلا غير صالح للنشر ، وألقى به بالناحية الأخرى فى سلة المهملات ، أخرج قطعة أخرى ، ألقى بها أيضا · قائلا « ممنوع » ·· « لا يسمح له » ·· يؤجل ·· يتكرر الحدث ورأسى ينزف ويداه تلطخان بالدم يبتسم بنفس الهدوء · ينفجر الدم من رأسى ·· أصرخ ··

يحجب الدم النور عن عينى ، أمتلىء خوفا ورعبا ·

أظل أصرخ ··

و ·· أستيقظ مذعورا ··

لوحـــة عذراء الأولمب

لم يكن للساعة أهمية بالنسبة لى فى هـــذا الوقت المتأخر من الليل الجميل السارى فى عمق الزمن · أشعر أن حياة الانسان أبدية ومتعة الخلق لا تعادل قصاصات الورق الملون والأحبـــار المبعثرة · تسكب كل عواطفى وأحاسيسى على سطح اللوحة الكبيرة · تتفصـــد جوانح الكلمات · تتشتت الصور فى رأسى ، تتهشم ، تتحول لفتات مشـــاعر وأحرف غير مفهومة · تتجمع فى عقلى تتحاور ، ينجذب كل منها للآخر · تصنع عالما جديدا ·

يســـكب قلبى آلاف الطيـــور والمقطـــوعات وآلاف الأحلام الدقيقة ، تتهشم تتجمع ثانية · الأشياء تتحوك فيما يشبه الدوامة · تتلاشى وتظهر أفقد القدرة عـــلى التركيز وعلى ايضاح المنظر · تتعالى أصوات فى رأسى · أشعر بثلوجة أطرافى · يذب احساس العطش والبرودة

فى صدرى · يقترب الليل من نهايته ، تنداح العتمة والبرودة فى أنحاء الغرفة الصغيرة · أجدنى فاقد القدرة على الرؤية بوضوح ، تتقلص أطرافى ، تضمر أجزائى ، أشعر بألم فظيع · أتلوى على الأرض ، يلتهب سطح جلدى ، أتمزق ، يبدأ الريش فى الظهور يملأ بثورى ويغطى جسدى الصغير الممدد ، أنتفض أرفع عنقى للهواء ، أنظر للخارج لقلب الليل الحزين ، تملؤنى رغبة التحليق فى الافق اللانهائى، أضرب الهواء بأجنحتى ، فى رفق ·· أبدأ التحليق · أدور فى دوائر مغلقة ، أتخبط فى جدران الحجرة الصغيرة ، اتجه للنافذة ، أخرج لحلم اللانهاية ، أغرد ، أصيح ، أصرخ فى جوف الليل ، أفعل كل ما أريده أبحث عن اللوحة المفقودة ، أظل هائما فى حلم اللون اللاموجود والشكل الساكن فى ، أبحث وأبحث برفقة الليل الحزين والنجوم المتثائبة ، أعود متعبا أنزف أعواما لا تحصى ، أعود مرة أخرى عبر النافذة أسقط من أعلى ، أجلس أستقيم ·· أعود ·· كما أنا ·· بلا تحليق وبلا معنى · أضع رأسى بين يدى وأبكى كطفل مرعوب خشية أن يفقد ، مازال صوت النسيم فى رأسى ، لا أعرف كيف أخرجه على الأفق الممتد أمامى ، أحاول أن أمد يدى الى قلبى علنى أتمخض تلك الموسيقى المبتورة من جوانحى ، أطأطىء رأسى ، شعرت ببعض الهواء البارد يتسلل الى فى تيار خافت ، أرفع رأسى لأنظر ···

ـ. لا أصدق عينى .. فكيف هذا .. و !! .. ؟!

كانت امرأة .. حقيقة لم اعرف أهى امرأة أم مجرد خيال . واهم ..

شعرها المسدول على كتفيها برقة الزبد هفهافا يلتمع مع ضوء الفجر الطفولى تتبعثر خصلاته وفى وداعه يرقد على كتفيها كحمامة ، يتطاير فيمس نهديها الصغيرين كأزهار القرنفل البيضاء ، ثوبها شفاف بلون شعاع الضوء الباهت . كاشفا عن جسدها الملفوف كالزنابق المنداة بليالى الحلم النورانى الشفاف .

نظرت الى وجهها كان رقيقا ، مضيئا ، لم أر أروع منه من قبل ، لم استطع أن أرفع نظرى عنها ولم أستطع أيضا النظر فى عينيها . تسلبنى قلبى فتجعله يخفق لحد التوقف ، بدأت ــ بعد برهة طويلة من الصمت ــ افتح فمى .. فسبقتنى وقالت :

ــ أرجوك .. لا تسألنى من أكون أو من أين جئت ، والا ذهبت الآن ..

« كان صوتها كرنة الموسيقى .. غريبا ، له نكهة البخور فتردد فى أعماقى مباشرة ليزداد خفقان قلبى.

ــ أرجوك .. لا تذهبى .

ــ خائف أنت . ؟

— ممن ؟ ٠٠ منك ؟ ٠٠ أنا لا أخاف الا منى ٠٠

— أتعرفنى ٠

— لا ٠٠ أقصد أنت لست غريبة على ٠ ملامحك ، أنظرى انها فى كل لوحاتى ، لا أعرف لماذا دون ارادتى كنت أتخيلك وأنا أرسم لوحاتى دائما كانت ملامحك هناك خلف غيمة الألوان ٠٠

— منذ زمن لم أرك ٠

— وأنا كنت أريدك منذ زمن أبحث عنك ، حلمى يضيع فى الزحام ٠

— ٠٠ وهل وجدتنى الآن ، انت لم تسع الى ٠ انا التى جئت اليك ، أعتقد أنك نسيت كل شىء ولم تعد لترسم مرة أخرى ٠

— أنا وهل ينسى الانسان نفسه ؟

٠٠ « اقتربت منى ، شعرت بأنفاسها الأطيب من الرحيق ، اقتربت أنا أيضا ٠٠ ناعمة كالخميلة ، هفهف الهواء ، ارتعدت خصلاتها ، لمست وجهى أرتعدت فرائصى ، ضممتها الى ، شممت رائحة جسدها ، فانتشيت أغمضت عينيها ، ألقت رأسها على كتفى ، احتضنتنى ، ضممتها بقوة ، اعتصرتنى ، اعتصرتها ، ذبنا كل منا فى الآخر ، انتشينا لحد الخدر لم نعد نستطيع الانفصال ، كأننا سنبقى أبد الدهر ٠٠ وبعد

·· ، غلبنا النوم ، استسلمنا للنعاس وهى بين ذراعاى ·· ، فى الصباح الباكر فتحت جفونى بتثاقل · كان الضوء بدأ يتسلل الى مخدعى ، نظرت للنافذة المفتوحة ، تذكرت ليلة الأمس ، تنبهت ، نظرت جانبى ، لم أجدها وجدت زهرة بيضاء صغيرة ملقاة بجانبى على الفراش ، أوراقها منداة ، أمسكتها ، ضممتها لفمى ، قبلتها ، شممت عطرها · نفس رحيق الليلة الماضية ــ ورن فى أذنى صوتها الرقيق وفى فمى مازالت طعم الذكرى الجميلة ··

قمت من نومى ، ارتديت قميصى ، توجهت لركن الحجرة ، أمسكت بفرشاتى ·· وأتممت اللوحة ··

جزر الأحـــلام

ــ جريت فى اتجاهها · وجدتها هناك جالســة ، تعبث فى أوراقها بيدها وبالأخرى خصلات شعرها · اقتربت منها ، نظرت فى الســاعة أكثر من مرة علنى تأخرت عن موعدى · لــكم تمنيت الذهاب قبل المــوعد بساعات طويلة ··

· كان الصباح مازال نديا ، رائق الجبهة · أما وجهها فكان فى هذا الصباح أكثر نضــارة وتألقا ·· اقتربت هامسا فى أذنها ·· « هل تنتظرين أحدا ؟ » أطرقت بهدب عينيها ، أمسكت يدها وذهبنا ·· وفى انتظار الأتوبيس النهرى تحادثنا طويلا ·· فيما يشبه الهمس · أشعر أن الناس حولى ينظرون الينا ·· بدأت أضيق بهم ··

— « قال أحدهم للآخر (انظـر ·· انظـر هناك ناحية اليمين ···

— آه ·· ما أفظع هـذا ·· أنا فى عمـرى لم أر مخلوقا كهذا من المؤكد أنه ليس من كوكب الأرض ·· رأيك من أين سقط هذا الحيوان الخرافى الى الأرض ·

— رغم أن منظره جميل لكنه غريب · له رأسـين وأربع أرجل وأربع أذرع وجسدين وعقلين وقلبين ·· وروح واحدة ·· ما أغرب العالم !!

تجمع فى المعمل العديد من العلماء والعارفين بكل شيء والمكروسكوبات حول الـكائن الغريب وبدآوا فى تدوين ملاحظاتهم ·

١ — من المظهر الخارجى قد يقال انه كائن واحـد غير انه فى الحقيقة كائنان منفصلان ··· لكن قلبيهما يدقان معا ··

٢ — لا أحد على وجه التحديد يعرف سر انجذابهما كل للآخر ·

٣ — محاولة التفريق بينهما خطيرة وغير مضمونة النتائج ·

٤ — ملحوظة أخيرة من أحد الفقهاء ··

تلك النادرة قيل انها تكررت من قبل بصور مختلفة

ولها تاريخ طويل الا انه منذ زمن بعيد لم نرها فى بلادنا ...

واقترح عمل صدمات كهربائية عنيفة على رأسيهما. فقد يؤدى هذا الى كشف الحقيقة وانفصالهما ، فهناك امكانية أن يحيا النصفين كل ككائن بشرى مثلنا تماما فيما بعد ...

الا أنه ظهر صوت فى أحد المكبرات الصوتية ينبه :

ــ « السادة العلماء نرجو التزام الحرص واتخاذ اللازم لسلامتكم فقد يصاحب هذه الظاهرة عدوى تفتك بنا ... نرجو الابتعاد .

ووضع الكائن تحت المجهر ..

ــ .. كانت الردهات فى ذلك الوقت خاوية ورطبة بشكل مميت .. »

ــ ونحن نطل من نافذة الأتوبيس النهرى تغلغل احساس الماء الرائق الى صدرى ، استنشقت أكبر قدر ممكن من الهواء ، نظرت اليها وجدتها غائبة هناك تنظر تجاه مجموعة الأشجار البعيدة على الشاطىء الآخر ..

وعندما سألتها عما يشغلها . مدت يدها ووضعتها على يدى وقالت :

ــ أتمنى أن أكون أنا وأنت فى جزيرة بعيدة ليس

بها غيرنا والأشجار وطيور ونسيم وكوخ صغير يضمنا معا ٠٠٠

في تلك اللحظة ذهبت هناك الى تلك الجزيرة النائية ، كان صوت السكون يحمل نفحة جميلة ٠ برائحة عطر وصوت عصافير تطير عاليا على الأشجار وفي يدى وضعت يدها كحمامة صغيرة ، ومن لا مكان ، انبعث صوت موسيقى يتخلل نسائم الهواء ويتغلغل الى قلبى ٠ مزقت قميصى ، ألقيت به على صفحة الماء ٠٠ قليلا ٠٠ قليلا ابتلعته وغاب عن بصرى ، التفت اليهما ورقصنا رقصة قصيرة على نغم الموسيقى اللؤلؤية البعيدة ، ازداد ضغطى عليها ٠ أفلتت من بين ذراعى ٠٠ جرت وعندما تعبت جلست على العشب الأخضر ٠٠ وتمددت تحول جسدها لزهرة بيضاء مزروعة فى قلب الخضار ٠ جريت ، طرت بجناحين صغيرين ٠ تحولت لطائر صغير يدور دوائر حولها ، استقرت على أبوابها٠ ضمت أوراقها واحتضنتنى ٠

فمارسنا طقوس العشق معا ٠٠ لزمن لا نعرفه ٠٠

تزداد الأرض خضارا وتورق الأزهار ٠٠ تتفتح فى قلبى الحياة مرة أخرى ٠

يتفصد الندى من جسدينا وينساب تجاه النهر ليزداد ارتفاعا وجريانا ٠

ـ فى نهاية اليـوم عدنا من رحلتنـا وفى منزلى الصغير جلست أرسمها مزقت كل الأوراق والخطوط ٠٠ ولم أستطع اتمام اللوحة ٠٠

٠٠ طائر حبيس يئن ٠٠ تركت طيورى معلقـة هنا على قارعة اللوحة ، على أحبال الوهم ٠

٠٠ تركت فرشاتى جانبا ، اقتربت منها ، أزحت القماش الرقيق عن صدرها ٠٠ (تفتحت زهرة) لثمت شفتيها ٠٠ (هز الريح أفرع النخيـل) ٠٠ بدأت فى عزف أنشودة عشق لاسمها ٠

ـ فجأة ٠٠

قامت ونهرتنى ٠٠ صارخة فى لا أريد ٠٠ لا أريد ٠

صـوت صفير حاد ٠٠ انزعجت كل طيـورى ٠٠ حلقت بعيدا وطارت الى هناك ٠٠ الى جزر الأحلام ٠

١ ـ الأنا

ها ٠٠ ها ٠٠ لا تحاول خداعى بمظهرك الوحشى هذا ٠ أعرف أنك أضعف من هذا ، ليس معنى أنك تلازمنى ، تنظر الى فى ترقب دائم اننى أخاف منك ٠ لا ٠٠ لا تحسب هذا « يشير بيديه تجاه وجهه » أعتقد أننى بخير اليوم ، سأسرع بارتداء ملابسى والذهاب للعمل ، لكن احذرك لقد ضقت ذرعا بك ومن مراقبتك لى ٠ لا تحاول العبث فى أحشائى مرة أخرى ٠ قلبى لم يعد يحتمل نهرك لى ، لم أعد شابا كما تعتقد ، لكم أود قتلك « يضحك بهستيرية ٠٠ رافعا رأسه » هل نعتقد أن هذا مجد ٠٠ أن أقتلك ٠٠ اقتراح رائع ٠ لا ٠٠ لا لكم أحبك ٠ نعم ، رغم ضيقى منك ٠

لكن ماذا تريد ؟ هل تطمح أن تتوج ملكا ؟ لم يعد يا صديقى عصرا للأحلام ، كل أحلامى أن أكون مواطنا

عاديا .. هذا فى حد ذاته حلم . فالسلام والسكون اليوم مطمح . انظر معى وتمهل كم من البشر تتراص على الأرصفة فى انتظار سيارة ، كم من الاطفال تتشرد، كم من الناس لا نضمن لهم حدا ادنى للحياة الكريمة .. الخبز .. حلم .

الماء .. حلم .. السكن .. حلم ، المجارى .. الحياة ، الـ .. فى أى حلم تطمح .. صديقى .. لكم أمقت اللحظة التى عرفتنى بك ، بدونك قد أحيا .. أو أموت . ما الفرق ؟ انك قيد فى عنقى يضيق .. ويضيق كلما اقتربت من اليأس لأفعل مثل الجميع . اننى أفعل كمن يصمم على ارتقاء عامود زلق بمخالبه عزيزى .. أى السحب يمطر خيرا ليروى الأرض ويعطيها خضارا وأى السحب يمطر شلالا يغرق الأرض والناس .. نفس السحب لا تنظر الى هكذا . أعرف أنك تفهمنى . تكلم ، لا تصمت . اننى أكاد أجن . هل أنت غاضب منى ؟ . ماذا فعلت ؟ .

« يشير بكلتا يديه » هل تريد مصالحتى ؟ اننى أريد هذا . دعنا نعود كما كنا أصدقاء . بل نعود شخصا واحدا . هل تذكر ؟ عندما كنت طفلا صغيرا . كنت مازلت لا أعرف الكلام والحروف ومع هذا كنت تفهمنى بسهولة ، تحبنى ، تعطف على . أليس كذلك ؟ اذن لماذا نختلف الآن .. ؟ باسطا ذراعيه أمامه .. »

هل أنا السبب ؟ المدينة يا ٠٠٠

اننى أفتقد كل شىء ٠٠ ، الأيام تنســـاب من بين أصابعى ، العالم يجرى فى جنون ، الأسماك هذا الزمن تتوحش ، كيف أحيا بقلب طفل ٠ ؟ كما كنت ٠ !

أترك لى فرصة أخرى ٠٠ وعد الى « يضع يده على قلبه » ٠

هل توافق ٠ ؟ « صمت لبرهة ٠٠٠ »

رفع رأسه ، أغلق سترته ، نظـــر للمرآة ومســـح الغبار الذى يجثو على سطحها المغبر ٠٠

وخرج للعمل ٠٠

٢ ـ تصالح

« رفع يده فى توتر واضح ، كاد يهوى بها على وجهه لولا أنه تراجع فى آخر لحظة ·· ، أطرق برأسه صامتا لبرهة ·· »

رفع رأسه ، نظر لعينيه طويلا ، محدقا بها ، صرخ فى وجهه ··

ـ لماذا تنظر الى هكذا · لا تعتقد أننى أخاف منك · لم أعد ضعيفا كما كنت قبلا ، من السهل السيطرة على · اننى أكاد أنفجر منك ومن برودك المميت · دائما تحدق النظر فى كذنب اقترفته ولا أستطيع التوبة عنه · أتعتقد أنه لصالحى أن تظل دائما ممسكا برقبتى هكذا ·· غير صحيح ، أننى أكاد أختنق ··· أختنق « يضع يده على عنقه يتحسسها ·· ثم رفع يده فى تحد واضح » ·

— ماذا تريدني أن أفعل كي أرضيك ؟ ماذا تريد أن تكون أنت ٠ ؟

أحلامك الفاضلة تلك ٠٠ وهم أكلتة الأيام العجاف

« كاد يعطى له ظهره ويذهب ٠٠ التفت ثانية ٠٠ »

— هل تذكر عندما كنا صغارا ٠٠ أصغر مما يتصور البعض ، كم كنت تفهمني وأفهمك ٠٠ هل تذكر ، كنا متحابين ، شخص واحد يحيا في سلام لذلك لم أكن أشعر بك أبدا ، اليوم تسوء علاقتنا مع كل يوم جديد٠ انني أحن للأيام الماضية السعيدة هل تريدها أنت أيضا ٠٠ ؟

لماذا أنت صامت أيضا ، تحدق في ٠٠ ألا تصدق أنني أريد مصالحتك، اريد أن تكون هناك صفحة جديدة بيننا ٠ انني أعرف الحب ، قلبي غير مدنس بالكراهية ٠ غير أن الأيام صعبة ، تشغلني عنك ، أسأل أحيانا ٠٠ سامحني ٠٠

هل تريد أن نعود أطفالا ٠٠ ؟ أقصد كما كنا ونحن صغار ، بقلب وأحد وعقل واحد ٠٠ فلنتصالح ٠٠ هل تقبل ٠٠ ؟

« مد يده ٠٠ فارتطمت أصابعه بالمرآة التي أمامه٠ ابتسم ،
أسرع لصنبور الماء ليغسل وجهه » ٠

فرسان وخيول

.. الخيول لم تعد فى هذا الزمن كما كانت من قبل فى عصر الفرسان القدماء خيول اليوم قصار قصار الرقاب ، عرجاء ، عجفاء ، لا تصهل لكنها تبكى وتنتحب . خيولنا كماعز بلا رؤوس ، بلا أرجل ولا أذرع كائن غريب هلامى الشكل يستحيل لشىء مفزع ، لا أحد يستطع أن يمتطيها . اذ قد تنفجر فى أية لحظة دون أن تدرى .

وهذا هو السبب الرئيسى لعدم وجود فرسان فى هذا الزمان .

= عندما تبدأ الشمس فى الغروب على شاطىء النيل تصطبغ السماء بلون برتقالى شفاف مخلوط بزرقة النيل الحالم ، تجد نفسك فى تلك اللحظة أضعف

من أن تقاوم رومانسيتك ، كانت تجلس بجانبى تنظر بعيدا للسماء وبين الحين والحين كانت تنظر الى ، أبعد رأسى مظهرا عدم اهتمامى بها وانشغالى فى تأمل قلب النيل و — فجأة أصابنى شعاع الشمس البرتقالى ، بدأت أعراض العشق تظهر على سريعا ٠٠

نظرت اليها فى تودد ٠ حادثتها ، أكدت لها ٠٠ أن الشمس جميلة فى هذا اليوم لحد الهوس لكنهـا أجمل بكثير ٠٠

٠٠ ابتسمت ، أرخت عينيهـا ، اقتربت منهـا واستطردت فى قاموس العشق ٠٠

— يا عـزيزتى ما أروع اللحظة التى يخلو فيهـا الانسان بنفسه مع غروب تلك الشمس اللؤلؤية ٠ انها تسحرنى ، تجعلنى ألقى كل همـومى فى قلب النيـل والأفضل من هذا أن يرى الانسان وجها ملائكيا مثـل وجهك الجميل ٠

« نظرت اليها لأعرف صـدى كلمـاتى فوجدتهـا مطرقة ٠٠ فاستطردت ٠٠ »

— نعـم ٠٠ ان عينيك حالمة لدرجة تشـعرنى أن قلبى ينقى من أثقاله ، أجدنى خفيفا كالعصفور أمامك، شـعرك هـذا الذى تتطاير خصلاته مع ذلك النسيم ٠ يفوق النسيم رقة وعذوبة سامحينى ٠٠ لكنـك أروع

ما رأيت عــلى هــذه الأرض ·· اننى فى حلم أتمنى ألا أفيق منه أبدا ·

« رفعت رأسها فى تباطؤ ، ابتسمت ، ابتســامة صغيرة سرعان ما تحولت لضحكة عالية · ربتت عــلى كتفى · ، قالت فى حنو :

ـ كلام جميل ·· الا أننى سمعته من قبل فى أحد الأفلام القديمة ، لا أتذكر اسمه الآن ··

« انت باين عليك طيب ··· وانصرفت ··

ملحوظة أخيرة ·· عرفت فيما بعد · كما أكد لى البعض ·

أن كلمة طيب فى هذا الزمن أصبحت تعنى » ··

ـ قالت :

« ان احساسى بك ليس مجرد حب لرجل ولكنه عشق خاص ، نوع من أنواع الجنون . كأنك وحدك فى هذا العالم لى .. لى وحدى . أنا لا أحيا الا بك . عندما تغمض عينيك لا أرى . عندما ألمح الحزن يلوح على وجهك تظلم الدنيا فى عينى .. اننى أموت بدونك . »

« طأطأ رأسه خجلا ثم نظر لعينيها ، أحنى رأسه وقبل يديها فى وداعة ورقة .. ابتسمت فى دلال وأحنت رأسها فى خجل .. »

وقال : حقيقة أحبك .. أحبك لحد الهوس لكم أتمنى اليوم الذى يجمعنا فيه بيت واحد ولكن ...

ــ أرجوك لا تتحدث فى هذا ثانيــة • أنا أيضــا أتمنى هذا ولكن ليس على حساب مستقبلى ومستقبلنا مازال الطريق طويلا •

ــ أى طريق تحلمين به • أمازلت تعشقين التمثيل وتسعين للمجد والشهرة ؟

ــ ماذا يضير فى هــذا أنت تعرف أننى أســتطيع والطريق أمامى •

ــ ليس كل شىء الشهرة والمال كما تعتقدين ، أنا لا ألومك وأحب فيك طموحك هذاولكننى أريدك زوجةلى وأم لأولادى •

« وضعت يديها فوق يده وقالت بصــوت يشــبه الهمس •• »

ــ ان حبى للتمثيــل أبدا لا يهز عشــقى لك وأنا أعرف مدى حبك لى أرجوك لا تغضب أبدا لا تعكر صفو هذه اللحظة وأنا معك لا شىء يشغلنى عنك وعن قريب كل شىء سيكون للأفضل •

ــ سامحينى • لم أقصد أن أعكر صفو اللحظة ولكن حبى لك ما يدفعنى للخوف رغما عنى •

« صمت لبرهة » •

ــ « قالت » : أنا الآن أعمــل فى أحــد الأفلام •

أخذت دورا صغيرا . أدع لى أن أوفق فيه علّه يكون بداية لطريقى ، لكم أحلم باليوم الذى يأتى فيه اسمى فى مقدمة الأسماء وصورتى على واجهة دور العرض ؟ لكم أحلم بالمجد وبالمال وبالشهرة « تضم يديها الى قلبها فى قوة » هذا حلم . حلم « تفتح ذراعيها وتنظر بعيدا .. »

شعر هو بانقباض وعدم رضى ولكنه لم يرد أن يحزنها .

ظلت تتحدث عن أفلامها وأدوارها وامكانياتها ومن منهم قابلته ومن لم تعره اهتمامها وكم من الرجال غازلوها وكم من النساء حقدن عليها .. وكم . وكم .

وهو ينصت ويحاول رسم ابتسامة هزيلة على وجهه رغما عنه كى لا تشعر بضيقه وتخوفه .

وفى الطريق لم يتحدث فضل الاستماع فقط وعند منزلها ودعها وذهب . فكر كثيرا لماذا هو خائف لهذه الدرجة انها تحبه وهو يعرف هذا .. اذن لا قلق .

« لم يكن من المفروض ان أتحدث معها بهذه الطريقة يجب أن أكون أكثر تفهما . وصبرا .. ولكن كيف ؟؟ .. غدا سأذهب للبروفة سأجعلها مفاجأة لها وأصالحها .. نعم يجب أن أكون أكثر حبا وحرصا .»

فى مساء اليوم التالى ذهب الى مكان « البروفة »

لكي يصالحها ويهنئها بنفسه . كثير من الناس يلتفون حول الكاميرات . اقترب . اطل براسه . أزاح بعضهم ونظر كانت تقف عن بعد في المنتصف وأمامها رجل رفع المخرج الجالس على الكرسي يده فهدأت الأصوات وصاح في الجميع ليبدا التصوير .

دخل حامل الكلاكيت ..

« كلاكيت .. ليالى الحب العنيفة .. «أول مرة.» صوت ارتطام ..

ويخرج مسرعا .. تتسلط الأضواء الهادئة .

تقترب منه . تضع رأسها بجانب راسه وتقول في جنو :

« ان احساسى بك ليس مجرد حب لرجل ولكنه عشق خاص .. نوع من أنواع الجنون . كأنك وحدك في هذا العالم لى .. لى وحدى ، أنا لا أحيا الا بك . عندما تغمض عيناك لا أرى عندما ألمح الحزن يلوح على وجهك تظلم الدنيا في عيني .. انني اموت بدونك .. »

تنهدت بدفء وأغمضت عينيها وهي تمسك بيده .

صاح المخرج مبتهجا « برافو » أضيئت الأنوار وصفق الجميع أما هو فانصرف في صمت ..

من يوميات بحر البقر

استيقظت في الصباح تغمرني الفرحة بلا سبب ، أشعر أن اليوم جميل ، أتعجل الذهاب للمدرسة كي ألعب مع أصدقائي ، أتوقع أن تكون اليوم المباراة قوية جدا بين فصلنا والفصل المجاور · اننا نستعد لهذه المباراة منذ فترة طويلة ، سيرون ماذا سأفعل بهم ، أنا على أتم الاستعداد لهذا اللقاء ·

تناولت افطارى بسرعة وأنا جالس أمام أمى ، حذرتنى من أن أتأخر مساء عقب الدراسة وأن أعود سريعا لأنها تقلق على فالأحوال هذه الأيام غير مطمئنة ، والدى يؤكد أن الحرب ستستمر لفترة ويجب الحذر ·· أكدت لى أمى أنه عند سماع صفارة الانذار يجب اللجوء

لأقرب ملجأ أو خندق أو الانتظار بمدخل احد المنازل • حتى تنتهى الغارة •

•• لعن الله تلك الحرب اللعينة • لكم امقت هؤلاء الذين يحاربوننا • لو وافق أبى كنت تطوعت فى الجيش وحاربتهم حتى قضيت عليهم جميعا ••

ـ من كتاب القصص ••

« فى زمن بعيد • كان أمير وحيد ، يقطن غابة فسيحة ، يعرف كل الأسرار •• ويحب بلاده • سمع أن أعداءه ذهبوا وسرقوا وعروا أسوار بلاده والأميرة أسيرة ، البلاد حائرة •

قذف الخوف فى أعماق بحيرة وحمل سيفه وطار لهناك ، قبل أن يصل الخبر اليهم وصل على صهوة جواده ، قضى بسيفه عليهم جميعا ، مزقهم ، فروا هاربين •• حرر البلاد •

وعاد ، تزوج الأميرة الجميلة •• وملك على كل البلاد •• »

بعد انتهاء طابور الصباح تواعدنا على أن نقيم المباراة عقب اليوم الدراسى فى الشارع المجاور •

فى أثناء اليوم الدراسى ظللنا ننتظر نهاية كل حصة لأننا متشوقون للذهاب ، فى الحصة الأخيرة ••• سمعنا صوت طائرات تقترب انزعجنا ، حاول المدرس

تهدئتنا • الا أن الأصـــوات ازدادت ضـــجيجا ، أعقبها صوت انفجارات متوالية ••

بدأت الجدران فى الاهتزاز والتساقط ، اشتعلت النار فى أجزاء كثيرة من الحجرة ، احترقت لوحة الكتابة السوداء ، فزعنا ، خرجنا من الباب ونحن نصرخ •• فى كل اتجاه ، سقط أغلبنا على الأرض ، تساقطت على رؤوسنا القنابل ، تناثرت الشظايا ••، مات أصدقائى سقطوا •• ولم يرفعوا وجوههم •

نظرت حولى وسقطت مغشيا على ••

« بعد فترة طويلة حاولت فتح عينى ••

رأيت الفارس آتيا من بعيد ممتطيا صهوة جواده، يحمل سيفه وفجأة •• تبتلعه قنبلة •• »

شممت رائحة التعقيم ، فتحت عينى وجدتنى فى حجرة بيضاء ولا أحد معى ، بعد قليل دخل على رجـــل يرتدى رداء أبيض أدركت أننى فى المستشفى ، ابتسم فى وجهى ، داعبنى ، دون أن ينطق بكلمة • أخرج من جيبه قطعة حلوى لأجلى وكشف على •• وعندما خرج •• حاولت التحرك • ففشـــلت ، ســـاعتها أدركت •• أنه أعطانى قطعة حلوى وأخذ ساقاى ••

أمير الرمال

ــ جلس الطفل على حافة الماء الذى يصله بين الحين والآخــر مع قيام المــوج وانحساره فيسحب الرمال من تحت قدميه ، يبتعد قليلا ، تبدأ يداه فى العبث بأكوام الرمال الباردة ، يجمع كومة كبيرة ، يبدأ فى بناء قصر شامخ • صنع فى البــداية ســورا ضخما حوله كومة الرمال الكبيرة ، بدأ فى تعليتهــا ، حفر خنــدقا كبيرا حولها •

ــ ترجل الفارس من على حصانه الأشهب ، صرخ فى العمال :

•• لم يعد هناك وقت بعد ، الباقى من الزمن يومان وعند شروق شمس اليوم الثالث يجب أن يكون القصر

معدا بالكامل لاستقبال الأميرة الجميلة ، علوا الأســوار وزينوها ، زيدوا الخندق اتساعا واملأوه بالماء ٠

ــ أحضر الطفل بعض الماء فى الدلو الصــغير وملا بها الخندق ، بدأ فى تعلية جدار المبنى وفى ترســيخ أساس الحوائط ، مد القباب هنا وهناك تعلو ٠٠ تعلو بقدر استطاعة الرمال على حملها ، يبــدأ فى تجــويف الطرقات الطرقات المؤدية للقصر والتى تفصل الأسوار والمبانى عن بعضها وتمهيدها بأطراف أصابعه ٠

ــ عندما علم الأمير الفارس بموافقة الاميرة الحسناء أجمل أميرات البلاد فى ذلك الوقت على الزواج منه ، فرح فرحا شديدا ، قرر أن تكون هدية زواجه لها هــو أجمل قصر فى المدينة ، يبنى عــلى شــاطىء البحر من أجلها فى مكان معزول وهادىء كي يحلو له العيش معها بعيدا عن كل شىء ، تصبح المدينة لهم وحدهم ٠٠

تجمع عدد هائل من العمال والصناع المهرة فى كل مجال لاتمام أجمل قصور البلاد ٠

ــ بدأت معالم القصر تتضح ، تعلو جدرانه لعنان سماء صافية ، ضغط باصبعه على أطراف السور الرملى العالى ، جعله مملوءا بالنتوءات الأشبه بالقلاع ، زوده ببرج مراقبة وبعض الرمال من حوله ٠ لترسيخه ، صنع نافذة كبيرة وشرفة مطلة على الحديقة الشاسعة ، زرع

بعض الأشجار الكبيرة كي يصبح المنظر من الشرفة بديعا ومشرقا انتهى من بناء القصر ، لم تعد هناك ، الا بضع لمسات أخيرة فقط للتجميل ٠

ـ بعد مراسم الزفاف ألقى الأمير عنه حلته ، حمل الأميرة بين ذراعيه لداخـل القصر ، أغلقت الأبـواب عليهم ، بعيدا عن الضجيج ٠

ـ ظل الطفل محدقا فى البيت الجميل الذى بنـاه بالرمال ٠ لم يرفع نظره عنه لفترة طويلة ، غاب لفترة عن الدنيا ٠٠٠

حضر والده ليأخذه كي يذهبوا للمنزل من أجـل الغداء ، أمسك بيده ، جذبه ، صرخ الطفل ٠٠ حاول أن يثنيه عن عزمه بعـدم رغبته فى الطعـام ٠٠ أصر والده ، ازداد جذبه له ، ضرب البيت الرملى بقـدمه ، سحب الطفل ٠٠ بكى طويلا ، اغرورقت عيناه بالدموع نظر للخلف الى القصر المحطم وبكى لأجل الأميرة ٠

ووالده مازال يجره بشدة ٠٠

قطة لاتعرف الحب

الدرج الخشبى يصدر صريرا غير عادى تحت وطأة قدماى وثقلى ، رغم حرصى الشديد على التلصص اتقاء لشر ذلك الصرير المزعج ، انه يتلف أعصابى . المنزل بأكمله يكاد يسقط من قدمه ، الأخشاب تحول لونها الى لون بنى غامق مملوء بضباب أسود صدىء ، الحوائط مهترئة ، متآكلة ، هشة .. الا اننى مجبر على الحياة فيه رغما عنى فأنا ورثته من زمن بعيد وليس لدى غيره ، الأفضل أن أكون فى مأوى ما أفضل من لا شىء ، واذا سقط على رأسى يوما فقد أستريح منه ويستريح منى .. لكم أتعب كل منا الآخر . المنزل مكون من طابقين . الأول . عبارة عن خرابة أسفل المنزل ليس

بها سوى القمامة والحيوانات التى لا أعرف عنها شيئا ، أخاف النزول هناك فهى من زمن بعيد مهجورة ، أحيانا أسمع أصواتا غريبة تصدر من هناك ، أقنع نفسى بأنها بعض الحيـوانات الأليفة مثـل كلب ضـال أو بعض الفئران أو غيره ، أحاول النسيان وأنام مخلفـا للباب ظهرى ..

أما الدور الثـانى من المنزل . متسـع وخاو ، ذو ردهة طويلة وصالة شاسعة لكنهـا خالية الا من كرسى واحد ومنضدة وسرير صغير فى جانب الحائط ، بعض الأكواب ، الأطباق ، الملاعق .. وغيرها . ملقاة عـلى الأرض ، رائحة الرطوبة فى كل شىء .. الهواء داخل المنزل له ملمس وطعم ورائحة . لزج وثقيل ، يربض على صدرى وأنا نائم ، لولا استسلامى للنوم كل ليلة من كثرة الاجهاد .. لكنت مت مختنقا .

.. منذ فترة ظهرت تلك القطة اللعينة تموء عـلى عتبـة الباب تمزقه بأظافرها ، يزعجنى ذلك الصـوت المميت ، أفتح الباب أنهرها ، أحاول ركلها بقدمى .. تبتعـد بعض الشىء تنظر الى نظـرة مخيفة ، تقترب للحـائط تحك ظهرها ، ترفع ذيلهـا ، تتبختر أمامى جيئة وذهابا .

ــ يا غبية اذهبى من هنا .. لا يوجد طعـام .. اننى جائع مثلك تماما وقد يكون أكثر ..

تموء في الحاح ، تتمسح في قدماى ·
أمسكت بها من خلف رأسها ··

ـ هاها ·· هاى ·· أخيرا ظفرت بك يالعينة ·· سألقيك من النافذة ان لم تذهبى بعيدا عنى · لماذا اخترت هذا البيت المهجور ، ؟ آلا يكفينى ما أنا فيه ، زمن القطط انتهى ، لم يعد ·· اذهبى ولا تجعلينى أرى وجهك مرة أخرى ··

على صوتها فجأة ، شهرت أنيابها فى وجهى ، ألقيت بها على الفور ، جرت من جانبى للداخل ، صعدت للسرير بسرعة ، جلست على حافته تسند رأسها على يديها الأماميتين ·

ـ صدقينى أنا لا أكرهك ولا أكره أية قطة ، فقط اننى أشعر بالخواء ، لا شيء لدى أقدمه لك ، كيف أصبح رومانسيا ؟ كيف أملك قطة ؟! وأنا جائع ! ومتعب ·· هل تفهمينى ·· متعب ·

·· برقت عيناها فجأة قامت تمسحت بالوسادة نفضت جسدها أخذت تلعقه بلسانها ، تفرد ساقا وتثنى أخرى ، ترفع ذيلها ، تدور على السرير أمامى ·

ـ كيف تطلبين منى المكوث معك ، كيف أستطيع ان أضاجعك ومعدتى خاوية ·· أعرف انك تريدين ممارسة الجنس هذه الليلة · هل الشوارع خلت ولم تجدى غيرى ··

لقد حذرتك .. وانت تصرين ...

استلقت على ظهرها ، مدت رقبتها للخلف ..

اقتربت أكثر .. وأكثر .. قبضت عليها بكلتا يدى وبدأت فى التهامها ..

الجلباب

• كان حلما أن يكون لى جلباب جديد ، أرتديه فى يوم العيد ، أتباهى به بين أقرانى • أحافظ عليه مثل جزء منى ، بين الحين والحين أنثر ذرات التراب من عليه بتباه وزهو • ألملم أطـرافه بعيدا عن الأرض لينحسر عن قدمى الهزيلتين كاشفا عنهما •

ذات مساء جاء أبى يحمل اللفـافات • توقعت أن تكـون ملابس العيـد وجلبـابى الذى أنتظره بفارغ الصبر • قفزت من على الأريكة من جانب أمى ، تعلقت بأبى ، مد يـده الى بلفافتى التى طال انتظـارى لهـا وترقبى • فتحتها بعجل ، مزقت أوراقهـا وأخرجتهـا للنـور • صغيرة ، زاهية ، بيضاء بهـا خطوط زرقاء ناصعة • فرحت وقبلتها ، أخذتها دون أن أريها لأحد • عدا أمى ، أدخلتها الى حجرتنا ، خبأتها تحت وسـادتى

بعدما طويتها بحرص واهتمام كل يوم اصحو من نومى أراها • اخرجها واطمئن عليها ، امنى نفسى باليـوم الذى أرتديها فيه ، أذهب مع ابى وامى لتزور أقاربنا، ألعب مع أصحابى واخوتى • عددت الأيام الباقية كل يوم أتمنى أن يكون العيد غدا •• أسأل أمى هل العيد قد أتى ؟ فتجيب بالنفى وتؤكد لى أنه على وشك المجىء قريبا ، وفى ليل •• صحونا عـلى صـوت أمى تصرخ وتبكى ، تلطم خديها • عرفنا أن جدى قد مات •

سحبنا أبى لحجرتنا وأخبرنا أن جدى ذهب للسماء وأمنا حزينة ولا يجب أن يعلو صوتنا وأن العيد يجىء بعد غد • يجب ألا نلهـو احتراما لحزنهـا ولا نرتدى الملابس الجديدة من أجل هذا • كنت خائفـا فى تلك الليلة • فذهبت بعد فترة لأنام فى حضن أمى • كانت أنفاسها تعلو من الارهاق والبكاء •

انكمشت بجانبها وأنا أبكى •• وتذكرت جلبابى الموضوع تحت الوسادة هناك •• وحيدا •

صباح

ـ «يا صباح الفل ٠٠ يا أحلى صباح خلقه ربنا٠»

٠٠ ركنت العربة اللورى التى أعمل عليها بجانب العشة الصغيرة التى تقع على جانب الطريق فى طرف أحد الحقول ٠ كانت حجرة واحدة مبنية من الطين وبعض الأخشاب والصفيح ، أمامها بعض المقاعد الطوبية المغطاة بقطع الكرتون ، تعمل كمقهى صغير لسائقى الطريق توفيرا للسائقين الذين يعملون على الطريق ٠ فهى أرخص من الاستراحات بالاضافة الى تقديم بعض الطلبات فى أى وقت من الليل والشيشة وغيرها ٠٠

صباح ٠٠ كانت تدير المقهى الصغير وتتعيش منه

هى وأمها العجوز التى لا تترك مكانها داخل الحجــرة في صمت ..

– اتأخرت على النوبة دى .. حمدله عالسلامة ..

– الله يســلمك . معلش الــواد ابنى كان عــيان شويتين وكنت قاعدا جنبه .

« التفت ناحية الرجال الجالسين . السلام عليــكم يا رجاله .

– عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. اتفضل.

– تشكر .. « مشيرا بيدى » ..

جميعهم يجلس بالخارج ليشرب الشاى ثم ينصرف أما أنا فعندما أحضر أدخل الى الحجرة ، اخلع حذائي ، أخفف ملابسي ، أغتسل ، أتمدد قليلا حتى يبدأ الليــل في الحلول ويرحل السائقين مبكرا لطريقهم .. تحضر صــباح تتبختر بفستانهــا الضيق وخلخالهــا المغرد ، تجلس ، تتــكيء لصــدرى ، تشــكو لى من متاعبهــا ، وأحوالها السيئة ورذالة السائقين .

كانت صـــباح غضة ، دافئــة ، أحببتها رغم اننى متزوج ، تعطينى كل شيء ، دائما متجددة ، تفعل قبل أن أطلب . لا تخجل من أن تفعل أى شيء معي ولأجلى ، تثيرنى بذكائها وفتنتها . أما زوجتى فكانت بنت ناس

« كما تقــول » الى الآن تخجــل منى فى كل شىء الا فى الحصول على النقود ، دائمة التحدث عن نفسها ومشاغلها متاعبها ومتاعب الأولاد وتقول اننى لا أحمل همها ..

دائما السفر .

صــباح كانت تحبنى ، تحب أن تتحـــدث عنى ، تشعرنى أننى الرجل الوحيد فى هــذا العالم ، أشــعر معها أننى مع أنثى وأننى رجل وليس خزينة نقود .

ــ أقضى الليل معها بطوله ، نتحدث فى كل شىء ، تطعمنى بيدها ، تحنو عــلى كطفــل .. وهــذا أيضــا ما يحيرنى . هل تحبنى فعلا . ؟ كل هذا الحب ! وكل السائقين الذين يمرون من هنا ألا يوجد أحد غيرى ، لــكن ...

لو كنت الوحيد فى حياتها وتحبنى الى هذا الحــد سأحزن لأجلها . لأننى لا أستطيع أن أتزوجها .. ولو لم أكن الوحيد فى حياتها سأحزن لأجل نفسى .. ماذا أفعل ..

ــ ما تأخذنى معاك مصر ..

ــ مقدرش .. مقدرش .. العيال وأم العيال .. أقولهم ايه ..

ــ أقعد أنا وأمى فى أى حتة ولو أوضة واحدة .

ــ صباح .. مش وقته الكلام ده ..

•• ملعونة أنت يا أم العيال ، لعن الله أخـلاقك وماديتـك وبرودك ••• أنام حتى الصـباح •• فى الباكر أرتدى ملابسى ، تناولنى صباح كوب الشـاى الساخن والافطار ، سريعا ما انتهى •

أجمع حاجياتي ، تقف عـلى باب الحجرة وظهرها للحائط • أقبلها وأهمس لها •• مش عايزه حاجة وأنا جاى ••

ــ عايزه سلامتك •••

الجسر القديم الملقى على أطراف قريتنا الصغيرة ، هو الشيء الوحيد الذى يربطنا بالقرى الأخرى نكاد نكون معزولين عن العالم ، قريتنا صغيرة جدا ، ولكنها تكتفى ذاتيا غير أنها أيضا لا وسيلة للاتصال فيها سوى الحمير ، وبعدها عن بقية القرى جعلنا جميعا مسالمين أو نميل للكسل والتراخى . العمل فى الصباح والزرع والحرث أما بقية حياتنا فتركناها تذبل على مقاعد المقاهى أو تتساقط الأيام منها على مداخل المنازل المتسعة وأكواب الشاى الدائرة والأمس كاليوم واليوم كالغد . دوائر ترسم على سطح بركة راكدة . فى الصباح نعمل وفى الظهيرة نعود لمنازلنا نتناول طعامنا ونغفو . نجتمع فى المساء حول أحد الدور أو فى

المقهى الوحيد فى قريتنا وفى آخر الليـــل نعود لفراش زوجاتنا • أغلبنا لم يتخط مرحلة الكتاب • لا تصلنا أى جرائد من العاصمة لأنها بعيدة ولا أحد منا فكر فى الذهاب يوما ما غير بعض الشباب وعادة لا يعودون • عند ذهابهم لاكمال تعليمهم أو طلبهم للتجنيد • حياتنا وعقولنا تكاد تتوقف على هذا المنوال لولا وجود صديقنا « مهران » حامل المذياع • ذلك المذياع الصــغير الذى اشتراه يوما عنـــد نزوله « للبنـــدر » ليزور أخاه ومن يومها وهو دائمـــا يحمله فى ذهابه للفـــلاحة أو عنـــد جلوســـه بالمقهى • يحبـــه ويحتضنه أينما ذهب ، يظهر وهو معه ويولى ظهره ويختفى به • حتى اننا أحببنـــاه أيضا فى مجالسنا • كان صديقنا مهران ومذياعه شيئا واحدا لا يتجزأ ، يرعاه • يهتم بنظافته واصلاحه بكل الصبر والاهتمام • كان مهران شخصية عادية فى القرية من قبل لولا هذا المذياع ، الذى جعله أشهر شخص فى القرية وأكثر تأثيرا فى الناس واتســـاعا للأفق واقتناء للحكمة • كان يأتى علينا من بعيد فننتظره لكى نستمع للمسلسل اليومى • كان رائعا وكأننا نسمع عن حياة أخرى وبشر لا نعرفهم • ثم يحدثنا عن أنه سمع البارحة خبر موت « فلان » فنسأل من يكون ؟!

فيجيب بكل الثقـــة انه أحـــد السياســـيين الكبـــار ويحدثنا عنه كأنه يعرفه منذ ســـنوات وبينهم صـــداقة حميمة ويظل يحكى عنه ونحن نستمع اليه فى انبهـــار

ونتعجب اذ انه لا يعرف القــراءة · هــل ذلك المذياع الصغير يفعل كل هذا ؟! ·· « رائــع هــذا الاختراع الجهنمى » !! وكثيرا بعد ذلك ما يتطرق حديث مهران عن رجال ونساء البلد أنفسهم اكتمالا لمظهره العــارف لكل شىء يحدث ·

ــ هذا المحروس · سارق · قذر · يغش فى أكيال الشعير التى يبيعها ·

· وهذه أم محمد التى فشلت فى تربية ابنها الذى سافر ولم يعد تعرفون ما السر وراءه « تقترب الرؤوس ويبدأ هو فى العزف ·· » « أقصــد فى الهمس » ·· وتلك الفتاة المدللة « صابحة » تختال ذهابا وايابا أمام شباب القرية لا رقيب عليها ولا حسيب · ان الأساس يا رجالة يبدأ من الـ ··

تعودنا على هذا وعليه دائم النصــح والانتقادات ملم بكل ما يحدث بالقرية ذائع الصيت سريع الكلمات · هو ومذياعه الصغير · فى نهــاية ســمرنا انصرفنا كل لداره على أن نلتقى فى الغــد وفى مساء اليوم لم يأت « مهران » والمذياع · أرســلنا صبى بالمقهى للســؤال عنه ، طرق الباب لم يفتح أحد « ·· اذا كان هــو غير موجود أين زوجته ذهبت ·· ؟! » لم يطل انتظاره · ردت جارتهم عليه · سحبته من ذراعه بعيدا ، همست

فى أذنه • اندهش حضر يركض الينـا • قال وهـو يلهث •

ــ شىء لا يصدق • تعرفون ماذا حدث • !

« جميعنا انتبه واعتدل فى جلسته وأنصت •

ــ عند عودة مهران أمس من المقهى وجد امرأته قد تركت له المنزل ولا يعرف أين ذهبت •

ــ تركته ••• ورحلت •

ــ لا تعبث بنا يا ولد •• تحدث بالصدق •

ــ هـذه الحقيقة والله العظيم ، لم أجده هـو أو زوجته •

ــ لا حول ولا قوة الا بالله •• هجرته زوجته •• لكن ما السبب ؟ وأين ذهبت ؟

ــ ملت منه انه لا يسكن المنزل أبدا دائم الحـركة والدوران •

ــ لا أعتقـد •• « انهـا تريد الطلاق انهـا جميلة ومازالت بضة أما هو •••

ــ أنا أعرف سـبب رحيلهـا •• « يلتفت الجميع فاغرين أفواههـم • » هو كثير التغيب عن المنزل وقـد أغواها الولد الملعون بائـع الحلى والعطـور لقـد أمال رأسها بحديثه عن « البنـدر » ورحـلاته اليهـا وعمله

هناك . نعم . أنا أعرفه ، لسانه منمق كالحلى التى يبيعها .

ـ لا .. لا يا رجل .. لا أصدق هذا .

ـ أعتقد أن ...

لا نهاية للآراء ولما يعتقدون .. ألف .. ألف حكاية .

لتصبح اهتماما جديدا للقرية ..

أما مهران فلم نعد نراه هو أو مذياعه الصغير ...

فارس بعد منتصف الليل

أعشق رائحة البحر وطعم الريح المنداة بالرطوبة، أسعد أوقاتى أقضيها على الشاطىء • فى وقت الغروب، اقتربت الشمس من الاحتضار ، وازداد الهــواء تشبعا بالعتمة والسكون ، بدأ الشاطىء يخلو من رواده ، تعبنا جميعا •• لعبنا كل الألعاب التى نعرفها • حتى اننـا لم نشعر بالزمن واليوم ينقضى • تعب الجميع وذهبوا، رجوتهم أن يبقوا فالهواء فى هذا المساء رائع ، يملؤنى احساس ورغبة فى الانطلاق • أشعر أننى أسرع من ريح البحر وأقوى من الموج الصــاخب ، صرخاتى أعـلى من الهدير •

رفض الجميع البقاء معى ، ذهبوا ليناموا ، بقيت وحدى فى قلب الليل الهادىء والسكون اللامتنـاهى ،

صوت البحر الجميل تخللنى ملأ قلبى انتعاشا ، قمت ، استنشقت الهــواء النقى ملء صــدرى ، ثنيت ظهــرى للخلف ، اعتدلت ، نظرت حولى فوجدتنى بمفردى عــلى الشاطىء ٠

أشعر أننى أقوى انسان فى الدنيا ، لا شىء يستطيع آن يحدنى ، أطلقت ساقاى للريح، ظللت أعدو ٠٠ كلما توهمت الطريق ينتهى عند نهاية المنعطف القــادم أرى الطريق مازال يمتد ٠٠ ويمتد ٠٠٠

٠٠ تعبت ٠٠ أسقط فى الرمال الرطبة ، أضــع قدماى على حافة المياه ، يأكل البرد أصــابعى ، أنتفض وأخرجها ، أمد يدى للماء ، أملأ كفاى ، أضعها عــلى وجهى ، أنتعش ، أنتفض وأستقيم ، أدخــل الى قلب الماء ، أخرج مسرعا ، أجرى مرة أخرى ، يبدأ العرق يتسلل الى جسدى وببعض الدفء والتعب ٠٠ بعد فترة ٠٠ أصل الى اللسان والصخور ، أقف قليلا ، أستريح ، أستجمع أنفاسى ، فجــأة يطــرأ فى رأسى هاجس ، أمد يدى الى عصا ممددة على الرمال بجانبى ، أظل أضرب الهواء بها يمينا ويسارا فى عنف ، أصيح بأعلى صوتى صارخا كأننى أحارب أشباحا حــولى ، حتى الصــخور شاركتنى المشهد ، تراءت لى من بعيد ذات عيون جاحظة وأفواه مفتوحة ، تصرخ ٠ أقفز فى الهواء ، أضربهــا محــاربا اياها ٠ لم أعرف كم من الوقت مر عــلى وأنا

أحاربها مثل « دون كيشوت » وطواحينه الهوائية . مستمتعا بوهم فروسيتي ، ظللت أقضى عليهم ، يتساقطون .. أصيح من الفرح ، لا أشعر بالتعب بعد ما دمت منتصرا يتزاحمون حولى ، أقاوم بسلاحى الخشبى ، أقتل من يقترب منهم العشرات والعشرات وأنا وحدى فى المنتصف رافعا سلاحى ، أطيح بهم على جانبى طريقى .. فى النهاية .. تعبت وقمت فخورا بنفسى .

جلست على الأرض ، تنبهت أن الوقت قد تخطى منتصف الليل ، صار أكثر اعتاما حتى أن تفاصيل المنازل اختبأت فى حضن الشوارع البعيدة ، النوافذ المضاءة تتماوج مع صفير الليل ، أخرجت كل الهواء الساخن من جوفى ، تنفست بعمق و .. فجأة .. تبرق السماء بصوت حاد انتفضت ، شعرت أن الضوء تكسر على الصخر القابع فى تربص خلف الظلام . لأول مرة شعرت بخوف ، كأن الجيوش التى حاربتها منذ قليل غضبت وزمجرت ، بدأ الهواء يصرخ حولى ، أنكمش بردا ، يزداد الظلام طغيانا ، يزأر البرق مرة أخرى تلتمع أعين جنود الصخور التى تحوطنى ، يقتربون منى ، يلتفون ، يتماسكون ، يحجبون الضوء الباهت عنى ، يصرخون ، يرفعون حرابهم للسماء ..

أبحث عن عصاى . لا أجدها فقد ألقيت بها منذ قليل ، أشعر بالبرد وبالخوف .

أقوم مسرعا أوليهم ظهرى ، أطلق ساقاى للريح ، أنظر خلفى خوفا من أن يلحقوا بى ، أظل أجرى حتى أصل للمنزل ، أدخل حجرتى وكلهم نائمـون ، أضىء مصباح حجرتى ، أشعر بالدفء يعود الى ..

ألقى بنفسى على السرير .. وأبتسم مرة أخرى .

اليوم الأول بعد الموت

شعرت أن جسدى منتفخ ، لا أشعر بأى جـزء من أجزاء جسـدى الممـدد تحت التراب ، أكاد أختنق من كثرة الأربطة التى وضعوها على جسدى ، كأنهم خائفون من أن أعود للحياة مرة أخرى ، شممت بعض رائحـة الطيب التى وضـعوها عـلى الممزوج برائحـة التراب المخنوق •

شعرت بثقل التراب الرابض على صدرى • حاولت تحريك يدى من بين الأربطة المربوطة جيـدا ، تذكرت عندما فاجأتنى النوبة القلبية الحـادة ، كنت مريضـا طريح الفراش ، حاولت الصراخ على زوجتى بصـوت مكتوم ، لكننى فشلت ، أمسكت صـدرى بكلتا يدى ، ظللت أصارع حتى سكنت حركتى، كانت زوجتى جالسة

أمام المرآة فى الغرفة المجاورة آتت بخطى متثاقلة تنظر الى أظافرها الملونة بالطلاء ، حدثتنى • لم أجبها ، اقتربت منى نظرت الى فوجدت عيناى شاغرة ، لكننى لا أتحرك ، لا أتنفس ، هزتنى عدة مرات •• صرخت وبكت لفترة ثم أغلقت باب حجرتى وخرجت ، بعد فترة ازدحم منزلنا بالجميع بمن نعرفه ومن لا نعرفه • يرتدون السواد ، منظرهم كان كئيبا •

اللون الأسود يخنقنى ••

بعد فترة • فى المقابر حاولت مرة أخرى تحريك الأربطة من على جسدى• كنت أظن فيما مضى أن محاولة الخروج من سيارة النقل العام أصعب شىء فى الدنيا ، لكننى اكتشفت الآن أن محاولة الخروج من الكفن أصعب بكثير •

كان التراب يملأ جميع مسامى وتجاويف رأسى وجسدى المربوط كنت بالداخل وحدى وجميعهم بالخارج ، يجلسون ، يثرثرون • استرقت السمع اليهم• كانت أمى منهارة تبكى • لا تقوى على التحدث ، كأنها كبرت مائة عام ، اقتربت منها زوجتى وربتت على كتفها ، همست فى أذنها أن تقوم لتذهب للمنزل لتستريح فمنذ البارحة لم تضع الزاد فى فمها وهى لا تقوى على هذا • طأطأت أمى رأسها وقالت : « لم يعد ما يستحق » •• قامت متثاقلة تستند الى ذراع زوجتى،

ذهبت حزينة ، منهارة ، أعقبها ذهاب اخوتى البنات كى لا تذهب للمنزل بمفردها ·

ظل الجميع يتهامسون · كل اثنين أو جماعة معا · يزداد الضجيج بصورة مزعجة والهمهمات ·

اثنين من أصدقائى جلسا فى ركن من الأركان · أحدهم نظر لأرجل زوجتى وأخبر الآخر فى حماس أننى لم أكن أستحقها ، انها رائعة الجمال · فرد الآخر عليه موافقا على كلامه غير أنه نصحه أيضا بالتودد اليها فقد يفوز بها وهذا هو الوقت المناسب للتقرب اليها قبل أن يأخذها غيره ومعها ثروة المرحوم ·

عمى فى الركن الآخر كان يتحدث بحماس ·· وينظر مترددا ·· على أننى كنت بخيلا ، متفلسفا ، متعارض الأقوال مع أننى غبى فقط الحظ هو الذى صنع منى شخصا ناجحا ·

ظلوا يتحدثون ويتحدثون فى أشياء تعنينى ولا تعنينى ، الدوائر تتسع ·· يرحل البعض والبعض الآخر يتململ فى جلسته ، كل منهم ينتظر قيام الآخر ، ينظر فى ساعة يده بين الحين والحين ·

· بعد فترة من الزمن ·· قل عددهم ، يتسللون الواحد تلو الآخر حتى خلا كل ما حولى وأظلمت الدنيا ·

أحسست أننى خائف وأن طعم الوحدة أمر من ثقل الأكفان والحنوط ··

الفصل الأخير

ـ نظر الى الساعة التى فى يده فلم يتبينها فاقترب من العمود ، حملق النظر فى الساعة ، كانت قد تجاوزت الثالثة صباحا بقليل ، مشى مطأطىء الرأس ، ينظر الى قدميه فلم يتبين ملامحها • الشارع ملامحه تهتز كأنها صفحة مياه تداعبها الرياح • الرؤية غير واضحة ، لكنه يعرف الطريق جيدا ، وكثيرا ما سار فيه من قبل •••

•• « كعادته يدخل الى المدرج مبتسما يقفز بخطوات سريعة الى آخر الدرج وفى الجانب المعروف• الى يمين المدرج يجلس • وذات يوم فى منتصف المحاضرة توقف قليلا عن الكتابة ، نظر الى الدرج المقابل • فرآها ، التصقت نظراته بها وجدها تنظر اليه • أرخى عينيه خجلا وأدارت عينيها هى الأخرى ، ظلا يتبادلان النظرات ، انتهت المحاضرة وذهبا فى طريقهما • » ••

ـ ظل يسير حتى وجد نفسه على كورنيش النيل ،

شعر ببعض البرودة ، أغلق السترة وضم الياقة الى رقبته ، سار فى محاذاة الشاطىء ·

·· « فى اليوم التالى دخل الى المدرج ظل يبحث عنها فلم يجدها ، صعد وجلس ، ظل ينظر الى نفس المكان فلم تكن موجودة هذه المرة ·

ربتت عليه يد ، نظر خلفه وجد احدى زميلاته القدامى وبجانبها الفتاة التى يبحث عنها ، تحدث مع التى يعرفها ولم يرفع نظره عن الأخرى · كانت مصادفة رائعة بالنسبة له ، وأخذ يتحدث معها كأنه يعرفها منذ سنوات · » ·

— وصل الى محطة البنزين المقابلة لمحطة القطار · كانت الساعة قد اقتربت من الرابعة والنصف · وجد أحد باعة الجرائد يسير والكشك الخشبى الأخضر الذى بجانب المحطة يفتح أبوابه ، اقترب منه طالبا علبة سجائر وكبريت ، دخل الرجل وأعطاه اياهم ، أشعل سيجارة لأول مرة · وسار ثانية يلفظ الدخان فى الهواء ···

·· « سار بجانبها ، تحدث معها فى كل شىء عن نفسه وتحدثت هى أيضا بصوت هامس ، كان صوتها جميلا كسيمفونية رقيقة رائعة ، مد يده فى تردد وأمسك يدها أحنت رأسها فى خجل · توقف فجأة وجذبها من ذراعها اقتربت منه · أحنى رأسه قائلا لها

« أحبك » فهزت رأسها موافقة على كلماته ، احتضنت ذراعه وسارا معا •• »

ــ ظل يدخن ، اقتربت العلبة من نهايتها • كان قد وصل الى كوبرى الملك الصالح • تعب جــدا من كثرة المشى • جلس عى حافة الكوبرى ينظر الى المــاء • كان الصبح قد أوشك على الطلوع ، تلاعبت بعض الأضواء على صفحة المياه وبدأ الشارع يمتلىء ببعض المارة •

• « دعاها الى منزله ، ذهبا معا الى المنزل ، عرفها على أمه وجلسا معا ، تناولا الغــذاء • نظــر الى امه ، ابتسمت وهمست فى أذنه « مبروك ياابنى باين عليها بنت ناس ومؤدبة » ••

وذات يــوم نظر الى عينيها ، اقترب ، اقتربت ، احتضنها وقبلها شعر أنها أصبحت جزءا منه » •

ــ عبر الكوبرى بعد أن طالت جلسته ، مد يده الى جيب سترته الداخلى • فوجــده منتفخا ، واطمــأن الى الشىء الموضــوع بداخله لئــلا يفقــده • مر بجــانب السينما التى على الناصية ودخل الى الشــارع المجاور للنيل ، نظر فوجد بعض المنازل بدأت تفتح نوافذها • فالصباح قد أطل ••

« وجدها تجلس مع شاب آخر فى الكليــة • ذهب اليها وتحدث معها ، لم تكن لتفعل هذا من قبل •

قال لها : ماذا يريد ؟

— لا شيء كنا نتحدث .

— ماذا بك ؟ هل حدث شيء ؟ لماذا تتحدثين هكذا ؟ هل أنت غاضبة متى ؟

— نعم .

— لماذا ؟

— اسأل نفسك .

— لا أسأل نفسى . أخبرينى ماذا حدث ؟

« أخذت حقيبتها ووقفت »

— هل كل شيء انتهى بالنسبة لك .

— نعم .

— كيف تقولين هذا ؟ هل جننت ؟ .. ولماذا ؟

— مجرد تغير للمشاعر وقد أعدت التفكير فى علاقتنا .. » .

— وصل الى المنزل الذى كان يريده ، جلس فى مقابلة المنزل على حافة الرصيف . ينتظر ...

« أخبرته يوما احدى صديقاتها أنها كانت على حق ..

قالت : كيف تطلب منها أن تنتظرك وأنت لا تملك شيئا • ومجرد طالب فى الكلية ، أمامك الكثير لتصبح شيئا •• لماذا تنتظرك ؟ •

ــ اذا لماذا ارتضت من البــداية بحبى وقبلت ان تخدعنى •• لماذا ؟

ــ كل الفتيات تحب ، لكن التفكير فى الزواج شىء آخر • انك ستظل لا تفهم أبدا • انك تعيش فى خيالك وعالمك ، أعتقد انها لن تعود اليك •• انسها » •

ــ نظــر الى ســاعته كانت الثامنة وهذا هو موعد نزولها الى عملها وبعد قليل وجدها تنزل تعبث بحقيبة يدها وتغلقها ، داعبت شــعرها بأناملهــا لم تلحظه فى البداية ، وقف • رأته ، وقفت فى مكانهــا ، تســمرت لبرهة من الزمن ، اعتقدت أنه بعد كل هــذه الســنين جاء ليراها ، أدارت وجهها واستدارت لتمشى ، اقترب منها محملقا فى شعرها الأسود •

وضع يده فى جيب سترته الداخلى ، أخرج المسدس منه • سار خلفها بخطى سريعة ، نادى عليها بصــــوت متهدج ، التفتت اليه ، نظر الى عينيها ، شــعر بقلبــه يخفق بشدة وقبل أن تتحدث أطلق الرصاص ••

دوى الصوت فى أرجاء الشارع الضيق وســقطت جثتها على الأرض حملق فيها •

وأدار ظهره •• وبكى

صوت القطارات البعيدة

أحاول التسلل في المساء الى منزلى بعدما يعصرني التعب من كثرة السير على قدمى • تارة أجلس لأستريح على الأرصــفة المعتمة وتارة أختبىء في قطعــة أرض مهجورة • رغم ضيق الحجرة التى أقطنها •• الا أنهــا أرحم من التعامل مع هؤلاء البشر السفاحين • أنتظــر حتى تظلم الأنــوار ، أشــعر بالكلل يدب فى أوصــالى فأعود للحارة • لا أعرف هؤلاء الأطفال من أين يخرجون على ، قصار القامة ، ســليطى اللســان • يتصــايحون حولى • يتزاحمون • يدفعوننى لأســقط عــلى وجهى ، عندما أدير وجهى لهم يهربون• أشعر بالضيق وبالخزى• أجرى منهم ، أتعثر فى جلبــابى المتســخ • أســقط • فيضحكون • يقذفوننى بالحجــارة • الألم لا يحتمــل

والذل الذى يمتطينى يجعلنى فاقد القدرة على الصراخ. همهمات مبتورة كل ما أستطيع اخراجه . حلقى وصوتى . ضاعا مثلما ضاع كل شيء .. « مجنون .. مجنون » دوى الأصوات المجدولة بالسادية . أجلس بجانب الحائط ، أبكى لحد الاغماء فانهار . أسقط متقوقعا ، ينظر الى المارة بشيء من الشفقة والاحتقار . أسمعهم فى كل وقت يهمسون يلوكون كرامتى يعبثون بالبقية الباقية من حياتى ..

أدخل حجرتى . جائعا ، منهك القوى لحد الموت ألقى بنفسى على الحصيرة وأذهب فى نوم عميق . أستيقظ على صوت الباعة الجائلين باكرا ، الاحساس بالجوع يلتهم أحشائى ، عيناى زائغتان . أخرج فى حرص أتسلل من بين الناس ، أظل طوال النهار أبحث عن طعام أو عمل أؤديه لأحصل على طعامى . الجميع يخافون منى أو من انساب عمل الى رغم أننى خائف من الجميع .. نعم أخافهم . قلبى يمتلىء رعبا عندما أراهم قادمين مشرئبى الأعناق ، جاحظى العيون متسعى الأفواه ألسنتهم لا ترحم يملؤها السم والنميمة ...

آه . جائع .. جائع . لكم أشتهى قطعة خبز صغيرة ترحل الشمس سريعا ويحتضر النهار فى عينى. ألم فتات الخبز من جانب المطاعم والمقاهى . ينهرنى العامة .. لا أهتم . يجب أن أحصل على طعام . يطردنى

١

الناس من كل مكان . يتصايحــون ، يجــرون خلفى . الأطفال ينتهزون الفرصة ويجعلوننى ألعوبتهم .

أجــرى .. أجــرى . ألهث حتى وأنا جالس أو متوقف . ألهث ، تعودت على ذلك أرحل الى الخــرائب البعيدة والشوارع المهجورة ، أهرب منهم .

الجميع اســتفزونى . طاردونى . جــريت حتى وصلت الى محطة القطار كانت مظلمة خاوية . تخطيتها . سرت على طريق القطار بين القضيبين ، شعرت بنســمة هواء ، نظرت للأخشاب الموضــوعة تحت قدمى بعرض القضيبين .

اتسعت خطواتى . ابتهجت ، عددت .. واحد ، اثنان .. واحد .. اثنان .. واحد .. اثنان .

ابتسمت لأول مرة منذ زمن . ضــحكت ، ولعبت بحريتى .. واحد .. اثنان بعيدا عن النــاس أشــعر براحة كبيرة .. واحد .. اثنان .

تتسع خطوتى .. واحد .. اثنان .. واحد .. اثنان .

فجأة القضيب يهتز .. واحد .. اثنان لا أهتم أنا سعيد جدا واحد .. اثنان . ضوء بعيد يقترب ... الوحدة احساس جميل .

واحد .. اثنان . صوت مزعج يقترب .. هـذا أفضل من صراخ البشر .. واحد .. اثنان . صـوت صفير القطار العالى .. واحد .. اثنان .

أرفع رأسى . ضوء القطار القوى يغشى عينى .. واحد ...

حصان الفارس الصغير

يعلو •• يعلو •• بجناحين صغيرين • يدور دوائر تتسع وتتسع هناك فى الأفق البعيد ، أتطلع اليــه فى عشق ، أنتظره حتى يختفى عن بصرى ويذهب بعيدا • كنت جالسا تحت عامود المعبد القــديم القابع على التلة العالية • تلك البقعة البعيدة فى حضن الجبل المترامية على أطراف قريتنا الصغيرة ، بقايا معبد قديم • قال لى أبى ذات يوم ان الذى بناه هو اخناتون الفرعون العظيم •

تلك الأعمدة الفارهة التى تلقى بالظل على الأرض الصخرية وصوت هسيس الريح الآتية من بعيد المارقة من بين كفى اخناتون العظيم •

• عشقت الجلوس هناك على الربوة • أتطلع لغروب

الشمس وهى ترحل لقلب الليـل . تلملم اشـعاعاتها الباقية من على صدر السماء . ترحل لتتركنى وحيدا .

. جاء الصوت صفيرا حادا من بعيد . مزق سكون الليل ، كانت أختى الصغيرة ، وقفت أنتظرها ، اقتربت منى تلهث وعلى وجهها ابتسامة .

اطمأننت بعض الشىء واستعجلتها فى الحديث ..

ــ أبى يريدك بالمنزل .

ــ هل حدث شىء ؟ .

ــ مفاجأة وقد أقسمت ألا أخبرك . الا هناك ..

أمسكت يدها ونزلنا معـا وفى الطـريق دون أن أسألها قالت :

ــ تعرف . لماذا يريدك أبى . لقد أحضر لك هدية . مفاجأة لك .. تعرف ماذا يكون ؟ .. حصان . نعـم حصان صغير من أجلك .

ابتسمت لها وابتهجت . أفلت من بين يديهـا ، وجريت للمنزل وهى تعدو خلفى ، لا تستطيع اللحاق بى .

دخلت الحظيرة التى بجانب المنزل . وجدته هناك بين يدى أبى الذى يداعبه . جـريت ، احتضنت أبى وقبلته . توجهت ناحية الحصان . الواقف فى سكون . كان جميلا ، ممشوقا .. ذيله طويل ، طويل .

قبلته بين عينيه ، لعبت معه حتى أمسى الليل وتوغل في السواد • تركته رغما عني ودخلت للنوم •

ظللنا معا فيما بعد • لا نفترق أبدا • آخذه معي للمعبد البعيد ، أمتطيه وننطلق معا للفضاء الشاسع •

أطعمه بيدى ، وبين الفينة والفينة ألقى في فمه قطعة من السكر • فيزداد ابتهاجا ويضع راسه بين كفاى • عشقته أكثر من عشقي لذلك الانفراد المسائى ••• وفي ظهيرة ذات يوم كنت معه هناك في حضن المعبد • كانت الشمس ساطعة وحادة • شعرت بالأعمدة تتماوج• الأشياء تتسرب من البقعة المضيئة في اهتزاز• أسرعت وذهبت للمنزل • ارتميت في حضن أبى ورحت في غيبوبة •

لأيام وأنا غائب عن الدنيا • أهذى • خيالات كل ما أراه •• أسمع الأصوات من بعيد تأتى مترنحة •

ـ الولد أصيب بضربة شمس • من ذهابه للمعبد•

ـ الحسد هو الذى أصاب ابننا • الى بالمبخرة والعروسة الورقية • تملأها ثقوبا • ثم تحرقها في النار •

ـ لا تنسوا كمادات الثلج على رأسه •

ـ ابقوا بجانبه عله يفيق •

– هل أخي متعب يا أمي · لماذا لا يلعب كعادته ·؟

– الحصـــان منطو في ركن مظلـم من الحظيرة ، يرفض الطعام من وقت مرضه لا أعرف ماذا افعل له · انه يكاد يموت ·· « كان الصوت صوت أبى » ·

· سمعت هذه الكلمات كأنها تأتي من زمن سحيق · فتحت عيني وقمت تجمعـوا حـولى · حاولوا منعي من الوقوف لكنني أصررت · قمت · اتجهت للخارج · امي حاولت منعي · رجوتهـا · ذهبت للحظيرة · وجـدته منزويا بجانب مظلم ، يضع رأسه أمامه على الأرض · ممددا · عندما رآني على الضوء الضعيف المتســلل من بين جدران الحظيرة الخشبية ·

نهض منتفضا · صهل · التمعت عينـاه · اقترب مسرعا · ووضع رأسه على كتفى ·

شعرت بارتياح ودفء · ومددت يدى لأضـع في فمه قطعتين من السكر ··

مذكرات صاحب الأقنعة

فى الصباح الباكر استيقظت كالعادة على صوت زوجتى وهى تصيح بصوتها العالى ـ « استيقظ ‥ استيقظ يا أحمد لا داعى للكسل · الافطار جاهز ·

لقد تأخرت على العمل · » وجاء صوتها من الصالة مزعجا يثير الأعصاب فصحت « حاضر ‥ حاضر » ، لكننى لم أستيقظ ‥

وجاء صوتها المزعج ثانية :

استيقظ ‥ استيقظ ‥ استيقظ ·

قمت مذعورا من سريرى ، مددت يدى الى علبة سجائرى الموضوعة بجانب السرير ، أشعلتها وأنا أعبث بعينى ، أحاول ازالة آثار النوم عنهما ·

· تذكرت صوت زوجتى المزعج ، كان على أن أضبط أعصابى ولا أثور ·

• لا داعى لاثارة عواصف فى بداية اليوم فأسرعت الى جيب السترة • أخرجت « قناع الزوج المحب » ، ارتديته وخرجت، قمت مسرعا لممت أشيائى • وارتديت ملابسى ، أسرعت الى الباب ، وجدت زوجتى أمامى، ملت عليها قبلتها قبلة أبوية ليس لها اى معنى عائلى خاص ، رحلت وأغلقت الباب خلفى، نزلت السلم مسرعا، جريت الى محطة القطار ، الانتظار يطول وموعد العمل قد اقترب ، بدأ الضيق يظهر على • لكن اخيرا ظهر القطار من بعيد ، أسرعت وقفزت فيه ، اذا بالدنيا تضيق من حولى وكمية الأجساد تتزايد ، تتلاحم ، الضوء يتلاشى كأننى فى مقبرة وأغلقوها على ، فجأة يظهر رجل ضخم الجثة يمر أمامى • يخطو على قدمى • فكرت فى أن أصيح فيه من شدة الألم ، لكننى تذكرت انه قد يتور هو الآخر وقد يستخدم يديه وأنا فى غنى عن المشاكل، بسرعة مددت يدى الى جيبى ، أخرجت « قناع الصبر » وأومأت برأسى قائلا للرجل :

ــ « آسف » سامحنى لأننى وضعت قدمى فى طريقك •

فسار بعدما رمانى بنظرة لم أعرف ماذا يقصد بها ، ثم جاءت امرأة • ضخمة بملاءة سوداء واحتلت مكانه جانبى وقد أزاحتنى عن طريقها بأسلوب لا يتناسب مع وقارى ومركزى ، أخرجت «قناع الأدب» وقلت لها بصوت منخفض •

ـ انتبهى قليلا ٠

قالت :

ـ ماذا بك يا أفندى ٠ انزل ان لم يعجبك ٠

تمالكت نفسى ، واكتفيت بالصمت والانزواء جانبا كالطفل المذعور انهــا امرأة تشــبه عربة المــوتى فى سوادها وحجمها ٠

عنــدما توقف القطار عــلى المحطة انطلقت أزاحم الجميع ، نزلت فرحا وهاربا من هذا الموقف اللعين ٠ قطعت الطريق المعتاد عبر أصوات الســيارات الــكثيرة وأنا شبه نائم ٠ قد حفظت الطريق الذى لم يتغير من خمســة عشر عاما مضت من العمــل اليــومى ٠ نفس الأرصفة والمطبات ولاعبى الكرة غير أنها فقط ازدادت زحاما وضجيجا ، عندما وصلت الى باب المصلحة توقفت لبرهة ٠ ارتديت « قنــاع الــوقار والاحترام » فهــذا ضرورى بالنسبة لرجــل فى مركزى ٠ وعنــد البــاب الداخلى أعلى السلم حيانى عامل الاســتقبال ، لم أجب اكتفيت بهز رأسى ٠ صعدت الى الدور الذى أعمل فيه، مشيت فى الردهة حتى وصلت الى مكتبى ٠ الذى أصبح فى حجرة منفصلة عن بقية الموظفين منــذ أن أصبحت رئيسا للقسم ونائبا للمدير ٠

فتح الساعى الباب أمامى ، دخلت ولم أنظر تجاهه،

جلست أمام مكتبى آخذا نفسا عميقا مهنئا نفسى على سلامة الوصول ، رفعت سماعة الهاتف وطلبت الرقم · سمعت صوت الجرس يدق فى الطرف الآخر · جاء صوتها الجميل بعد فترة مازال يحمل مسحة النوم قائلة :

ـ ألو ·· ألو ··

« وبسرعة ارتديت قناع المحب ·· »

ـ ألو ·· سهير حبيبتى ·· كيف حالك · ؟

ـ أحمد ·· اننى بخير · كيف حالك ؟ لكم أشتاق اليك ·

ـ أحببت أن أطمئن عليك · هل أنت مشغولة اليوم أم أحضر لك ؟

ـ أنا غير مشغولة لكن زوجتك ··

ـ زوجتى ·· زوجتى · لا دخل لنا بها الآن ··

ـ كيف ليس لى دخل بها وهى زوجتك ؟

ـ هى زوجتى أما انت فحبيبتى ·

ـ الكلام لم يعد له فائدة · اما أن نتزوج أو ···

ـ على العموم عندما نتقابل سنتفاهم ·

وفى هذه اللحظة دخلت احدى الموظفات الى الحجرة · وبسرعة ارتديت « قناع الكذب » وقلت :

ـ مع السلامة يا سيادة المدير • ان شاء الله سأحضر اليوم « واغلقت السماعة »

وهنا نظرت اليها وارتديت « قناع الحسم » وصحت فيها :

ـ يجب أن تستأذنى عندما تدخلين الى مكتبى • ثم اننى مشغول مع المدير فى عمل كما ترين •

ـ ردت بسرعة • المدير هو الذى أرسلنى لسيادتك وعايزك ضرورى •

وهنا بدون ارادتى • ارتديت « قنـاع الخجـل » لأنها اكتشفت أننى أكذب ومضيت بقية اليوم أمارس عملى ـ وعدت الى المنزل متأخرا •

• ارتميت على السرير فى تعب •• حقيقة ان هذه الأقنعة ترهقنى وتزيد الحمل على لأنهـا كثيرة وتمـلأ جيوبى ••

غير أننى بدأت لا أعرف ملامح وجهى الحقيقى ، بدأت لا أعرف أى الوجوه أنا •

• أنام مهمـوما مرتديا قناع اللامبـالاة • لأعود ثانية فى الصباح أحمل أقنعتى وأخرج للعالم •

طريق لاينتهى

دائما كان السفر متعة لى ولكن ركوب القطار شيء يختلف · انه يجعلنى أشعر أن الطريق لا ينتهى أبدا ، وأننى سأموت داخل القطار هذا ·

فرتابة الصوت تفقد الانسان القدرة على التركيز والاستمتاع بالطريق حملت معى قدرا من الكتب الصغيرة والجرائد اليومية فقد تملأ فراغ الطريق ومع الوقت أشعر أن الخضخضات الكثيرة تسكب المتعة من قلبى ويزداد رأسى ثقلا حتى خلتها تسقط من النافذة ان نظرت للخارج ·

بدأت فى التهام العناوين الكبيرة فى الجرائد ، أصابنى بعض الملل والاحباط · كانت سوداء وقاتمة والآمال المبعثرة بلا معنى سوى تخدير أحلامنا الكبيرة ·

• ظللت أنقل بصرى ما بين العناوين والاعلانات والصفحات والناس المتراصة أمامى وبجانبى • حتى فوق حامل الحقائب العلوى جلس عليه جنديان بأحذيتهما الثقيلة المدلاة من أعلى على رؤوسنا •

فى بداية الرحلة كنا واجمين الا من سيدة جلست تتحدث لأولادها عن أشياء كثيرة بصوت مسموع وهم لا يهتمون بما تقول قدر اهتمامهم بالنظر خارج النافذة وهى ممسكة بطرف ثياب أحدهم الجالس على ركبتيها وملقى برأسه عبر النافذة • ومع الوقت بدأ البرد يتسلل الينا فأقفلنا النوافذ وكل منا جمع ملابسه على رقبته ودفأ يديه بالنفخ أو وضعها فى طيات سترته •

وبدأ رجل كبير السن غاصت رأسه بين ياقتى المعطف السميك الذى يرتديه وقال : •• هذا الشتاء قارص على غير العادة • اننا لم نتعود هذا •

فرد شاب ــ حقيقة هذا صحيح «ابتسم مجاملا» ••

فقال الرجل : موجها حديثه للشاب ــ فى عهدنا كنا نأكل جيدا وكانت صحتنا بخير • كان كل شىء متوفرا وبملاليم زهيدة ، أما الآن ••

ــ تركت السمع اليهم ونظرت للجريدة •

« مجلس الوزراء الجديد : قرارات حاسمة بشأن السلع •• وتوفيرها •• »

قال ثالث : « وصلنى صوته » · كل الأشياء ازداد ثمنها أضعاف الأضعاف لم يبق الا الانسان رخيصا ·

ـ ·· عنوان جانبى ··

« السيد الوزير يفتتح بوتيك ·· لأحدث الموديلات العالمية ·· »

ـ اننا أصبحنا فى عصر حرية وهذا هو المهم ·· أتعجبكم أيام الانجليز ؟

« اجتماع قمة غدا بشأن سداد ديون مصر ·· »

ـ لم أقل اننا نحب الانجليز أو أيامهم · اننا نحب مصر ولكننا اليوم مستعبدون لعدو أكثر ·· اننا يا عزيزى فقراء كل معوناتنا من دول لا ولن تعرفنا ·

ـ اطار ـ « على سينما الشرق المكيفة · شاهدوا أروع أفلام الغرب » ·

ـ الآن أصبح من الصعب ركوب الأتوبيس · هل هذا يعقل · الراتب يضيع فى المواصلات ·

ـ هذا لأن الناس لم تعد تدرك · لقد أكلتهم الأمية والانجاب · كثرة المواليد يا عزيزى · اننا نختنق ·

ـ رد العجوز ·· الأولاد عزوة لكننا لا نعمل بضمير يتكل كل منا على الآخر ·

« راقصة تلقى مصرعها وهى تسير فى الطريق العام ... »

ـ المثل يقول « اعطى العيش لخبازه ولو أكل نصفه .. »

ـ .. ولكنهم أكلوه كله .

« تنحية مدير الشركة الـ ... وتكريمه .. »

تدخلت المرأة فى الحديث لأول مرة .

ـ يقولون ان الوزارة الجديدة ستخطو بخطوات واسعة نحو حلول أكيدة وجذرية ..

« محاولة جديدة لزراعة قلب صناعى فى جسد ميت .. »

وقلبت الصفحة فى يدى ...

ـ قال الطفل : أمى أريد طعاما .

ـ خذه من الحقيبة .

« أخرج الطفل شطيرة وجلس يلتهمها وهو ينقل بصره بين الجميع .

قال أحدهم : ألم نصل بعد ..

ـ لا ...

« وبعد صمت لبرهة »

ـ لماذا لا تصنع مصر والدول العربية قنبلة ذرية · هذا يضمن لها الأمان ·

« حالة لبنان تزداد سوءا · · ·

تفاقم الأزمة الخليجية · · · »

ـ اننا لا نملك حق القمح ونفكر فى القنبلة الذرية

ـ ان الحالة غريبة وتبدو مغلقة من جميع الجهات ·

وقع بصرى على خبر · ·

« حققنا أعظم انتصارات رياضية بالقارة الأفريقية · · »

سمع جميعنا صوت الجندى النائم أعلى الحامل وقد علا غطيطه بصورة لافتة ·

اشتد النقاش بينهم وعلا صوتهم وبعضهم انسحب من الحديث واكتفى بالسمع وبعضهم لاح بوجهه وذهب فى نوم عميق ·

وقد شعرت أنا أيضا أننى مللت القراءة فتركت الجريدة بجانب الحقيبة وأخرجت منها قطعة خبز وظللت ألتهمها ·

ألتهمها فى صمت · · ·

احتفال منفرد

عائد فى الظهيرة من عمله مجهدا ، الشـمس تلقى بألسنة اللهب كعادتها • يحمـل لفافة بهـا بعض ثمار الطماطم وعلى حافتها حزمة من الخضراوات ، تحت ابطه أرغفة الخبز وبيده الأخرى الجريدة • نزل من الأتوبيس مدفوعا بقوة ، سار فى الشارع غير مبال ، كادت سيارة أن تقتله • لم يهتم أيضا ، تخطى الاشارة وسار متثاقلا على الرصيف الضـيق • مر أمام ورشـة النجـارة التى بجـانب منزله فاصطدم بالصبى وهو يجرى خارجا • سقط منه الخبز • مال اليه ووضعه مرة أخرى كما كان وأكمل طريقه • تخطى الحجر الكبير الملقى بجانب باب المنزل ، صعد السلم الضيق المملوء برائحـة الرطـوبة والسكون • فتح باب منزله بهدوء وضع ما بيديه عـلى

المنضدة المستديرة فى وسط الحجرة ، خلع حذاءه والقى به تحت السرير ، تمدد · شعر أن جسده غارق فى قطرات العرق المتفصدة من جسده ومن جبينه · قام بسرعة ، تناول المنشفة من على مسمار معلق على الحائط بجانب السرير ، سار فى الممر الصغير الى الحمام وعلى الحائط رأى نتيجة العام · كما هى لم يقطع منها ورقه واحدة · وقف أمامها ، فكر ·· فى أى شهر ·· وأى يوم نحن ··· ابتسم ·

ــ ان اليوم هو ذكرى مولدى · ولدت فى مثل هذا اليوم ، لكن كم من الأعوام مرت على وأنا مازلت حيا ؟ لا أعرف ؟!

· دلف الى الحمام ، وقف أمام المرآة ، نظر الى وجهه والى التجاعيد الصغيرة المتقاطعة التى ظهرت فيه، تحسسها بيده وعلى عدة شعيرات بيضاء فى رأسه لم يلاحظها من قبل ·· ابتسم ·

ــ لا أهمية لذلك · فاليوم سأحتفل بيوم مولدى ·

أسرع واغتسل ، حلق ذقنه ، صنع طعامه ، نزل مسرعا للشارع · ذهب الى الحلوانى ، اشترى كعكة كبيرة بكل ما تبقى معه ولم يعرف السبب · صعد السلالم بسرعة مذهلة لم يتعودها من قبل ·

فتح الباب ووضع الكعكة على المنضدة . أخرج عدة شمعات وجدها لا تكفى لأنهـا قليلة جـدا ، فبحث فى الشقة عن غيرها ، جمعها ووضعها فى الكعكة ، أشعلهم . أطفأ النور . تراقص اللهب عنـدما اقترب منهـا بفعل أنفاسه المتلاحقة . اقترب أكثر ليطفىء الشموع ... لكنه توقف وتذكر ..

« عندما نجح فى الاعدادية أهداه أبوه دراجة ، كانت كل أحلامه . ففرح بها وعندما كان فى الثانوية أحب ابنة الجيران وظلا يتقابلان حتى تزوجت من رجل آخر وتركته . فرسب فى الثانوية . ومات أبوه بعـد ذلك

. بكى وتحطم . ظلت أمه تعمل لتنفق عليه . دخل الجامعة ، أحب زميلته . ماتت أمه . باع البيت ليكمل تعليمه . تخرج ، لكنه لم يجد المال ليتزوج من زميلته .. فانفصلا . التحق بعمل حكومى ، أخذ حجرة صغيرة فى منزل قديم وظل طوال حياته وحيدا .. »

تذكر هذا وابتسم ، سقطت من عينيه دمعة عـــلى الكعكة .. مال برأســه أكثر ازداد اللهيب . احترقت بعض الشعيرات البيضاء فى وجهه ، لكنه لم يستطع أن يرفع رأسه ثانية ...

فســقط رأســه بين الشموع وأغمض عينيه ..و.

تاريخ العشق بينى وبينك

● فى زمن بعيد · زمن ما قبل العشق · كانت الأرض خاوية والنسيم جنين ، الخير يحبو على وجه الأرض الرقيقة كنت انت الأرض وكنت أنا الريح ·

فى البدء · زرعت البحر فى قلب الأرض فأمست حبلى بالرحيق · صارت الأرض مزدانة بالزهو والأشجار، أثمرت ثمارا كثيرة وكانت شجرة معرفة الخير والشر · أكلت الثمرة فأكلت ، سقطنا فى جعبة الجسد الاجوف للأرض الملعونة وكانت عيناك النسيمية أجمل ما فى الأرض وكنت أنا حارسها بسذاجة الطفل وعناد المحارب وبقلب البحر الثائر ·

فى المساء أشعل بخور الرقص البربرى ، نحطم أصنام المعقول ونصبح روحا واحدا وجسدا واحدا ٠

ـ كانت الاسكندرية صبية جميلة ، مرحة كعادتها كما أحببتها دائما ٠ مرت تسعة أيام وغدا أعود للقاهرة فى اليوم العاشر ٠ انتهت الرحلة بسرعة ولا جديد ٠ لم أمسك بالقلم طوال فترة الرحلة لأخرج شيئا ذا قيمة ٠

جلست أمامى ، انتفض قلبى ، أخرجت القلم وخططت وجهك على الورقة مرة ٠٠ ومرات ٠٠ وكانت عيناك التى انتظرتها منذ زمن بعيد ٠

● كنت أحبك بجنون ولكن آخى الأكبر كان حاقدا على ، بكل دهاء الحقد ٠ أغلق على التابوت الجميل الذى صنعه لأجلى وألقى بى لماء النيل أما أنت فالأيام تزيدك حبا وتزيدنى شوقا للعودة لك من جوف الظلمة هناك ٠

ـ تحادثنا طويلا ٠ أعرفك جيدا وتعرفيننى ٠ رغم تغير الأسماء فالزمن المنزوع من الذاكرة ٠ مزروع فى القلب ٠ تتجهم الوجوه تنتفخ أوداجها ، تتلون ، ترفض قصتنا ، تحاول أن تمحو تاريخ العشق الأزلى بينى وبينك ٠ يرفضون بلا معنى يرفضون ، تتحول ألسنتهم لحراب وسموم ٠ من اليوم الأول أعرف أنهم يرفضون ٠

● أعزف لك كل ليله معزوفه جـديدة ، لاول مرة تسمعينها ولأول مرة اعزفها ، عيناك المحلقه هناك من النافذة وانا جالس امامها اتغزل فى لالئها الجميله • سـابحا معـك للحظات نسـترقها من افواههم الجائعة « انهم يرفضـون » يبعدوننـا ، يحـاولون تمزيق كل الأسـاطير التى زرعناها فى حديقتنـا ولم نستطع ان نحيا معا فلنمت معا ، أشرب السـم وتشربين لا اتردد ما دمت معى •

— سأرحل اليوم للقاهرة عائدا ، لكننى لن اتركك ولن أنتحر ، زمن اليأس ولى سأمحو تاريخ انتظار طويل، أعرف أنك تنتظريننى منذ آمد بعيد وإنا أيضـا اتيت لأجلك ممتطيا صهوة الزمن عبر عصور طويلة •

دعينى اليوم أغفو بين يديك كما غفـوت فى بدء الخليقة ، كما بكيت دفئا على تابوتى الذهبى الغارق • كما فعلت المستحيل ورحلت معى رغما عنهم وتجرعنـا الموت حبا •

سأرحل اليوم للقاهرة • لصخبها • لحياتها ، لموتها • أحملك بين طياتى • تاريخ طويل قضيته معك فى ليلة واحدة •

— وصـل القطار الى محطة مصر التفت ابحث عن حقائبى وتلفت حولى بعدما نزلت أبحث عنها وجدتهـا قد ضاعت وسط الزحام فأشحت بوجهى وانصرفت •

المقهى

صرخ علـى وأنا أسـير فى الطريق ، كان جالسـا بالمقهى المطلة على الشـارع دعانى للجلوس • لم أكن أعرف أين أذهب فجلست مستسلما ، صافحته بوهن • يتصبب العرق من ياقتى القميص •

ــ تشرب شاى ؟

ــ لا •• شكرا •• ماء بارد أفضل •

ــ لم أرك منذ زمن • أين ذهبت ؟

ــ تخرجت وسافرت للخارج للعمل وعدت من فترة قصيرة •

ــ نادى بصوت مرتفع « كان دائم الضجيج ونحن فى المدرسة ومازال •• » حاجة ساقعة يا ولد •

— تلعب طاولة ؟

« كنت أحمل الحقيبة المليئة بالكتب وكان هو يجرى بعيدا فى يده كشكول واحد عاد ضاحكا بعدها قدف الكرة اليهم ٠

— لا أعرف لماذا تحمل كل هذه الاشياء « مشيرا للحقيبة » ٠٠

هززت رأسى بالنفى ٠

بدا يتطرق فى الحديث لأشياء عديدة عن تجارته وشطارته وعن خيبتى وعن تفوقى أيام الدراسة والان ماذا أصبحنا ٠

٠ كنت بعيدا كل البعد عما يقوله وهناك فى النافذة المقابلة كان قلبى يخفق ٠ وقفت تبتسم تنظر للاشىء وأحيانا تنظر ناحيتى ٠ ثوبها ضيق ضاغط على صدرها البض بلون الموج وملمس النسيم ٠

« حاول مرة قبل دخولنا للفصل ان يرشينى من اجل أن أحل له الواجب لكنى رفضت فغضب منى وضربنى ٠٠ شكوته للمدرس » ٠

— اشرب ٠

وشربت المشروب البارد الموضوع أمامى فى تلكؤ دون أن أتفوه بكلمة ثم صافحته وأخبرته بأننى مشتاق جدا له وسأمر عليه غدا على المقهى ٠

تعجب لتغيرى وأنا لم اعتد الجلوس على المقهى .

تكــررت زيارتى له عــلى المقهى ، احضر فاجــده جالسا . وفى تلك الاوقات كنت انظر اليها فى شغف تمنيت أن أعرف اسمها أو من تكون ..

« بعد خروجنا من المدرسة . حاول مغازلة احدى فتيات الحى . فأخبرتنى هى بذلك . فنهرته وبعد ذلك كانت الفتاة من نصيبى وصارحتنى بحبها لى .. »

ــ كنت أشــعر أنهــا تنظر ناحيتى عنــدما احضر وأجدها واقفة هناك باسمة ، أشعر انها تنتظرنى وفى يوم فكرت فى أن أصارحه لكننى ترددت .. ولم افعل.

ــ ابتسم وقال وهو يميل الى انه يدعونى الى حفل زفافه يوم الخميس القادم وعندما سألته السؤال المعتاد .. على من .. ؟

قال : هذه الفتاة التى تقف فى النــافذة هنــاك « مشيرا اليها .. »

.. وجمت وكأننى ابتلعت لسانى أما هــو فطلب منى الرجل مشروبا باردا قدمه الى ..

قائلا : بصوته المزعج .. « اشرب » .

سرقة حقيبة الطحان

ـ كانوا خمسة أفراد عندما دخلت عليهم الحجرة • جلسوا حول المائدة المستطيلة الموضوعة فى المنتصف • بادلتهم التحية وجلست ، كنت منهمكا جدا من السير بحثا عن عمل • منذ فترة طويلة وأنا أبحث وأبحث ولا فائدة كل الآمال تخور حولى تهوى لظلام لا قرار له ، جئت اليوم لأنسى همومى ، لا أريد التفكير فى شىء ، أظهرت ابتسامة صغيرة • على وجهى رغم احساسى بالاختناق وبالعرق يملأ مسامى •

« يابنى لا تيأس • الله يستطيع تدبير كل شىء ليس معنى أن تترك وظيفتك أن الحياة توقفت •• »

تحدثوا فى أهمية التعليم وعدم أهميته وفى القوة الخارقة التى تهبط على من يأوى النقود •

ـ ماذا استفدنا من الجامعة خرجنا منها كما دخلنا

ثم نصدم بواقع غير أحلامنا فتحدث الفجوة ·· ورايى ان ···

« هل هناك تعريف حقيقى للمعقول واللامعقول · هناك اشياء لا معقوله قد تصبح اكثرها منطقيه فى وقت آخر · اذن الزمن هو المعقول واللامعقول وليس الحدث · »

كان يجلس فى مواجهتى يتحدث معهم وفجأة تذكر ونظر الى كأنه وجد شيئا خفيا عليه منذ زمن ·

— هل تصدق اليوم سرقت الحقيبة · تركتها على مكتبى وذهبت للصلاة فعدت لم أجدها ولم يكن أحد من موظفى المكتب موجودا · اننى فى حيرة ، لا أعرف اين ذهبت ؟

« توصلت أخيرا الى أننى لا أريد العمل موظفا حكوميا يجب أن يكون هناك طريق آخر حتى لو كان شاقا ·· يجب البحث ·· »

— استفاض فى شرح معالم الجريمة وجميع التوقعات ·· هل الذى سرقها من خارج المصلحة أو هو الساعى أصفر الوجه الوقح أم أحد زملائه الموظفين ·· هذه مهزلة ·· أو قد يكون أحدهم يريد مداعبتى وسيعود بها الى غدا أو ···

« أنا فى حيرة من أمرى · لماذا أقالنى رئيس القسم

عنــدما أخبرته أن هنــاك سرقة تحــدث فى المخــازن والمستندات تثبت ذلك وعليه بالتأكد والتحرى ..

ـ يا طحان أعتقــد أنه شخص حاقد عليــك أراد مضايقتك فسرق الحقيبة .

.. فيمن تشك . دعنا نحلل الموقف من البداية . متى نزلت للصلاة ؟

أين وضعت الحقيبة .. هل لك أعداء ...

ـ أخرجت منديلى وجففت عرقى ..

ـ ماذا بالحقيبة ؟

ـ قائمة بطلبات المنزل وقائمة بديون الشهر الماضى وبعض أوراق وقلم رصاص .. وممحاه ..

حدث ذات مساء

ـ كان ذلك المساء مثل أى يوم مضى ٠ العتمة تملؤه بعض الشىء والرطـوبة المتسـاقطة من جدران منزلنا القديم ان الأسقف القديمة العالية تمطر بردا وصقيعا ٠

ارتدى سترة أخرى فوق سترتى التى أرتديها كى أشعر ببعض الدفء أمسـكت بكتاب فى يدى ، جلست بجانب المدفأة الصـغيرة ٠ نظـرت فى البـداية لفهرس الكتاب ثم استطردت فى قلب صفحاته فى ملل ٠ لم أعد قادرا على قراءة أى كتاب اليوم بعد قرأت الكثير والكثير فى الفترة الأخيرة ، ألقيته بجانبى على الحامل الخشبى المعلق على الحائط ٠

مددت يدى الى علبـة سـجائرى أخـذت واحـدة وأشعلتها ثم أدرت ظهرى ، فتحت النافذة ، نظرت منها للخارج فى ملل علنى أجد شيئا جديدا ٠

تذكرت القــول « الــوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك ٠٠ »

وابتسمت ٠٠ أى وقت كان يقصد ٠٠ وقت العمل أم المذاكرة أم المقهى أم النــوم ٠٠ كل شىء باطل ٠٠ لا فائدة ٠

لا أعرف لماذا أنا يائس هذا اليوم لعل هذا كله من أثر روتينيتى فى الفترة الأخيرة وهذا أمر طبيعى على ما أعتقد ٠ اتململ فى وقفتى ، أدخل الى الحجرة ارسم دوائر عديدة ناظرا للســقف وللأرض بتفحص ، ألقى بنفسى على السرير ٠

« الانسان يموت وتبقى أعماله ٠٠ »

قمت فجأة كدت أصرخ من الضيق ٠

« ان الانسان حيوان ناطق ٠٠ »

تراجعت عن الفــكرة بسرعة ٠ أريــد أن أمــزق ملابسى ، أضرب رأسى فى واجهة الدولاب علنى أستريح

« ان الله ميز الانســان عن الحيــوان بالعقــل والحكمة ٠٠ »

حتى هذا لا أفعله ٠٠ نظرت مرة أخــرى للنــافذة فكرت مرارا فى القفز منها ٠

« لا تنتحر الا النسور الضعيفة ٠٠ »

أعرف ... أعرف ..

عدت للسرير ، ارتميت .. قررت أن أنام فقط اغمض عيني ولو لبرهة . علني أستريح .

بعد فترة اثار انتباهي صوت عال لنفير سيارة وأصوات تناديني من أسفل النافذة . جريت لهم ، نظرت من أعلى ، كانوا ثلاثة من أصدقائي منذ عدة شهور لم أرهم . ماذا ذكرهم بي .. ؟

ــ انزل بسرعة . نريد أن تأتي معنا .

ــ الى أين تذهبون في هذا الوقت المتأخر ؟

ــ متأخر « يضحكون » متأخر كيف ؟ ولم تتخط الساعة الحادية عشرة مساء .. انزل .. انزل بسرعة .

ــ لكن .

ــ اننا مصرون لا تحاول الاعتذار . دع كتبك فلن تموت بدونك .

ــ انتظروني .. سأهبط .

دخلت مسرعا ، ارتديت ملابسي وطمأنت نفسي ، ان اللهو أيضا ضرورة بشرية وتغيير جو الحجرة شيء أساسي أفضل من انتقالي ما بين مكتب عملي الى مكتب حجرتي .. هذا ما كنت أحتاج اليه .

أغلقت الستره ، وضعت علبة سجائرى بداخلها ،
مددت يدى الى الدولاب اخرجت نظارتى مسحتها جيدا،
وضعتها على عينى ثم نظرت للمرآة وخرجت مسرعا ٠
« أسهل شيء أن تنقد الآخــرين وأصعب شيء ان
تعرف قدر نفسك ٠٠ »
في السيارة كانوا يتحدثون فى أشياء عديدة أما
أنا فكنت أنظر عبر النافذ؛ وأســمع همهماتهم التى لم
أعرف معناها ولا أذكر هل سألتهم أين نذهب أم لا ٠٠
وهل أجابونى ٠ ؟
« المحبة تغفر كل شيء ٠٠ »
بعد هنيهة توقفت السيارة أمام أحد المنازل الجديدة
العالية ٠
سألتهم أين نذهب ؟
ضحكوا ربت أحدهم على كتفى وشــدنى من يدى
وصعدنا الى الدور الثالث ٠ هناك فى الواجهــة باب
بنى اللون ، اقتربنا نحن الأربعة ، دق أحدهم الجرس
وبعد فترة قصيرة ٠٠
فتح الباب وأطلت منــه رأس فتاة شــعرها أســود
لامع ، وجهها ملىء بالمساحيق ٠ انتظرت قليلا وعنــدما
اســتوضحتنا ابتسمت لهم ٠وفتحت الباب ، دخلوا هم
أولا وتأخرت أنا قليلا ٠ قلبى ارتجف بعض الشيء فقد
كانت جميلة ، ظهرها عار وجسدها فائر ٠٠
عندما وصلنا الى الصالة المضــاءة بشــدة كنت قد

تفحصتها بالكامل ، هناك وجدنا فتيات أخريات ، كن جميلات حقا وان اختلفت النسبة والسبب . كنت واجما ، أشعر بسخونة فى رأسى ، صافح كل منهم الآخر وظللت متأخرا .

قالت احداهن :

ـ تعال لماذا أنت بعيد هكذا ؟ .. اتخاف منا ؟

ـ اتركيه حالا سيندمج معنا « اقتربت وجلست »

ـ انتظرناكم ولم نشرب شيئا .

« أحضرت زجاجة » .

.. « الأنا واللهو .. جانبان من العقل كل يسعى لوجوده » .

.. يغيب عقلى بعيدا سارحا فى لا شىء ، تمد احداهن يدها الى بكأس أنتبه وأعتذر .. يضحك الجميع ، تتوالى الأحداث غريبة ، الأصوات لا تتضح ، يهمهمون ويضحكون .. يضحكون على أشعر بالغثيان وبالضيق ، لكننى ابتسمت ولم أبال ، اقتربت واحدة ، قدمت لى كأسا ، جلست بجانبى على ذراع الكرسى . أخذت الكأس من يدها ، شربته جرعة واحدة ، شعرت برعشة فى رأسى ، انتفضت مغمضا عينى « ضحك الجميع ثانية » .

قامت احدى الفتيات ومدت يدها لصديقى ، أخذته ودخلت احدى الحجرات .. مددت يدى الى كأس أخرى وتجرعتها ..

«ان العقل الباطن لهو أكثر صدقا ومعرفة من العقل الواعى» .

كانت الأحداث غريبة بالنسبة لى . اقتربت منى لم أكن طبيعيا ولم أبادلها أى شىء ، غضبت ، قالت لهم بثقة واستخفاف :

— انه ساذج .. لماذا احضرتموه معكم ؟

— عله يريد النوم مبكرا ..

قال أحد أصدقائى « بعدما اقتربت منى » لا تخجلنا يا أخى بادلها حبك . انها لطيفه ومعجبه بك ، أين ذهبت رجولتك !؟

قالت احداهن .. اتركوه عله لا يستطيع التعامل مع امرأة .. فهو ليس ..

. انفجرت الكلمات فى رأسى وحسبتها اهانة كبيرة ، صديقى اقترب منها بسرعة محاولا منعها من التحدث أكثر .

« النفس اكتسبت الكثير من الخبرات فى حياتها الأولى مع الالهة لكنها عندما نزلت الى الأرض أنست ما عرفت .. »

وعلى غير ما توقعوا « ابتسمت » ولم يظهر على أى غضب ، صمتوا جميعهم لفترة مذهولين .

قمت بهدوء أمسكت بيـد الفتاة الجميلة وهمست في أذنها ، ابتسمت ونظرت لهم جميعا ومشت معي الى احدى الحجرات وهي متشـككة تنظـر الى تارة واليهم أخرى ، دخلنا وأغلقنا الباب وسط ذهول الجميع ..

« ان الانسان يصنع شجاعته وجبنه بنفسه .. »

.. وبعد فترة طويلة .

كانت النافذة تفصـح عن أن الصـباح قد أطل ، خرجنا لهم ، كنت واجما على فمي ابتسامة صغيرة تحتضر وهي تحتضن ذراعي . صمتوا جميعهم والتفتوا الينا .

قامت ذات الثوب المفتوح ، اقتربت من صديقتي وهمست في اذنها ابتسمت الأخرى وردت عليها بصوت غير مسموع وازداد ضغطها على ذراعي ، شدتني تجاهها وقبلتني في وجنتي ، ابتسمت لهـا ابتسـامة تودد . ضحك زملائي ضحكة لا تخلو من دهشة .

. انتزعت يدى من بين أصابعها ، نظرت لهـا في عطف ، تقدمت لمنتصف الحجرة وبجانب المنضدة المستديرة الموضوع عليها الأكواب أدرت نظرى بينهم ، ثم مددت يدى الى سترتي وأخرجت أوراقا نقدية وضعتها عـلى المنضدة ، أدرت ظهرى لهم وخرجت .

أغلقت الباب خلفي دون أن أنبس بكلمة .

وأنا أهبط على السلم . ضحكت ، شعرت في تلك اللحظة انني أريد أن أبكي .. أصرخ .. أشق الجدار برأسي ..

المهرج

كنت أعتقد فيما مضى أن المستحيلات ثلاث .. الغول والعنقاء والخل الوفى الا أن اليوم المستحيلات أصبحت أكثر من الممكنات .

المستحيلات أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا .

الغول .. العنقاء .. الخبز النظيف .. السفر .. الزواج .. الحياة الكريمة الحرية ، .. ، ... والخل الوفى .

أعرف معنى نظرتك تلك . من . المستحيل أن تعرف وتشعر بما أعانيه لكن لا مانع من الحديث معك، فأنت الوحيد الذى يعرفنى جيدا ، يعطف على ، تدرك الى أى مدى أنا أحب ..

هل من الصحيح ان المهرج ·· حتى لو كان مهرجا من حقه أن يبكى ·· يحب ·· يفكر ·

أنظر ·· أنظر سأسير الآن أمامك على حبل ممشوق فى الهواء ، سأتمايل يمينا ويسارا مدعيا التعثر ، هذه اللعبة يفرح الناس بها ، تعجبهم ، سأحاول أن أكمل الطريق للنهاية ، هذا لا يتوقعونه · ينتظرون سقوطى فى أية لحظة فهم يتوقعون أننى لا أجيد عمل شىء ··

·· فأنا مهرج ·

أحيانا أسقط من فوق الحبل بارادتى من أجل اسعادهم ··

ها ·· ها ·· هااى ·· سأقوم ثانية ، اقفز كالقرد · والآن سأعزف لك قطعة موسيقى جديدة · أين الكمان ·· ؟ · نعم انها من تأليفى ألا تصدق ·· استمع ·· لا تحاول أن تسألنى عن المعنى ولماذا ؟ انها مجرد نبضات قلب ، الفن يا عزيزى لا يشرح ، لا يقنن انه نابع من هناك ·· هناك فى ربوع بعيدة فى قلب الانسان ·· نبض القلب أكثر حكمة من كل القوانين ·

اسمعها ، افهمها بقلبك ·· سأعزفها مرة أخرى من أجلك ان الموسيقى تجعلنى أطير لعالم آخر بعيد ، أحلق كطائر ، أضحك كطفل ·· لولا أننى يجب أن

أصمت فجأة أو أقطع أحد الأوتار من أجل اضحاك الأطفال لاستمررت فى العزف الى مالا نهاية ٠

رغم انك مجرد دمية لا تتحدث الا انك أنت أيضا تحمل روح المهرج اننا نعمل معا منذ سنوات طويلة ، نضحك الاطفال والكبار انا مهرج وأنت الدمية الصغيرة ، صديقى الوفى ٠ تعرف انك جزء منى ٠ أنت الاذن الصاغية لى ٠ كل انسان يحتاج الى احد يستمع اليه يروى له أحلامه ، آلامه ، أى شىء حتى لو كان هذا الأحد ٠٠ دمية مثلك ٠٠ أشعر انك تحمل قلب مهرج ، قلبا أبيض ، نقيا ، يحب ٠ القلب الذى يحب عملة نادرة ٠ رغم أن جميعنا يحب « أصدقائنا ، احبائنا ، أقاربنا لكن من يحب الجميع على السواء ٠ الذين يحبونه والذين يكرهونه » ٠

ما ثمن ابتسامة طفل فى اعتقادك ؟ ما ثمن اسعاد انسان ؟ أى انسان ٠

انتظر لحظة سأحضر حمالة هذا السروال المتسع ٠ انه يسقط منى ٠

أكمل وضع مساحيقى وأعود اليك ٠٠ لا ٠٠ تعال معى أفضل ٠ اجلس هنا على هذا الحامل ٠ ما رأيك ؟ سأحاول الليلة أن أزيد اللون الأحمر أسفل عينى أم أجعله لونا برونزيا ، هذا يخفى آثار البكاء عن عينى وحزنى هذه الليلة ٠٠

المهرج يجب ألا يبكى ، تظل الابتسامة مرسومة على شفتيه للنهاية ·· سأرسمها هكذا كى يراها الجميع ، لا تقلقوا ·· سأضحك لكم الليلة وكل ليلة ·· لا تحزنوا لحظة ·· المهرج قادم ··

سأتعثر فى حذائى الكبير وسروالى المتهدل ، « أسقط » على وجهى لا أعرف لم يضحككم تعثرى ··

لكن ضحكتكم تحيينى ·· تنسينى طعم البكاء ، أحتاجكم كما تحتاجون الى ·· « صوت الموسيقى تصرخ »

انتظرونى ···

أنا قادم اليكم ·· المهرج قادم ···

تلك الخطيئة أعتز بها

عشقي للكتابة لا حدود له · ان ارتوائي وتطهيرى لا يكون الا فى معاناتى وأنا أكتب ، فشق الفجر على صفحات بيضاء وزرع الطيور على صدرها شيء لا تساويه أية متعة أخرى ·

عندما تبدأ جدران الصمت الأسود فى التلوى · تحاصرنى صرخات الماضى البعيد وأنياب متوحشة لأيام عرجاء تأتى حاملة زاد السفر من سم زعاف وخبز متعفن وبعض الأحلام الوليدة ·

الكلمة هى خطيئتى الأولى · مع عذاب الحرف الأول تولد آلام المخاض العسير · تفاحة آدم ليست بلا ثمن · الحرف ينثر حروفا ، الكلمة تزداد صراخا ، تنفجر أساطير وسطورا · مع كل صفحة تقلب فى كتاب تبدأ

أغصان خضراء فى التلوى ، تزدان المدن بعطر الأحلام، تنبثق من بين فخذى الأرض الخصبة ، الأيام الآتية من بعيد متسربلة بثوب لؤلؤى الأهداب فضفاض بطول الزمن ، يبدا فى العزف على أنغام الريح الدافىء الرابض على صدر الأرض العارية الانثى الساحنة والأيام .. جسد رجل وراس ثور .. لا تثمر الا عذابا طويلا .. طويلا بطول الزمن الواجف ، المبصوق على طرقات خاوية .

القلم المملوء بمداد أسود يخط احلام بيضاء ، يملأ الصفحات صراخا وعذابا .. أطفال ونساء .. الكلمات تتوالد تنفجر ، تتحرك ، تصبح عالما جديدا ووجهك المرسوم بقلبى . أخرجه ، أخطه على الورق أمامى ، أحاكيه عذابى وعذاب الكلمة ، يبتسم فى حنو ، يرنو الى تلسم شفتاى شفتاك .. « تضع رأسها على صدرى وتغفو .. »

... لا تخجلى .. ارفعى رأسك ، اصرخى فيهم جميعا بلا تردد ، هذه الكلمة لى .. لى وحدى كتبتها لأجلك .. أصرخى فى وجوههم جميعا ان هذا الطفل الذى فى أحشائك منى .

عفوا .. أنا لا أبكى .. رغما عنى تتفصد قطرات من عيني تمحو ذنوبى ، تغسل أياما عديدة مضت بعيداً عنك . صدقيتى .. أنا لا أبكى حزنا .

ـ لا أبكى خوفا ··

أرجو أن تغفر كل أخطائى الا تلك ··

الكلمة يا حبيبتى أول أخطائى ··

أما هذه فأجمل أخطائى ···

نـون

نون .. هلال وبدر .

نون .. زهرة داليا ورغبة محمومة .

نون .. حبل ومشنقة .

نون النسوة ورائحة الهمس وصوت الجنون .

ــ تألقت عيناها بحدة وازداد صوتها توترا وهياجا . تشيح بيدها فى وجهى ، غير مسيطرة على انفعالاتها ، لكن كلماتها جاءت منظمة وبسيطة وتلقائية . من الواضح انها تحفظها عن ظهر قلب وشديدة الايمان بها . انها شعرت باهانة عندما تحديتها من فكرها واستهزءت بما تقول عن مساواة الرجل بالمرأة ، انها بالفعل تتجه الى التعصب وتعتقد ان كل الرجال جنس غبى وديكتاتورى،

لا يستحق الرحمة ، وهـو يسيطر عـلى المرأة بتعسـف بغيض ·

· وعندما نزلت الى الشارع · شـعرت اننى ذلك الرجل البغيض الذى لم يفهم آراءها ، توقفت عند مقهى فى وسط المدينة ، جلست ليست لدى رغبة فى الذهاب للمنزل بعد ··

ـ أنا ضد قهر الرجل للمرأة ، انها عبودية بشـكل أو بآخر ، كل حقوق الرجل يجب أن تحصـل عليهـا · الحرية الكاملة هى الطريق لمجتمع متفتح وواع ، المرأة لديها العقل مثل الرجل تماما وتتفوق عليه · هى اكثر قدرة على التحمل واكثر صبرا وحبا واخلاصا ·

ـ وجدتها أمامى ذات يوم ·· فحادثتها ··

·· انت شخصية لطيفة جدا ومتفهة جدا وهـذا ما كنت أفتقده فى المرأة الشرقية ·· المرأة الشرقيـة لها سحر خاص ، انها تكوين رائع لكنها ينقصها الثقل العقلى والفكرى فهى تصبح كاملة وأروع ما يمكن ··

لكن ليس هذا معناه محاربة الرجـل أو اعتبارها معركة ذات طرفين ·

ـ أنت متوقد الذهن ·

ـ وانت ·· ساحرة ·

ــ نون ٠٠ هلال وبدر ٠

« هل سينجح هذا الانسان فى تحويل مسار حياتى ؟ هل يستطيع أن يدخل الى فيزيل جمودى ٠؟ هل يحبنى كما أنا أم يريد تحويلى الى قطعة منه ٠٠؟ هل يفهمنى ٠؟

ــ كان خطابها الأول مليئا بالأسئلة والحيرة ٠٠ مليئا بالحب فكتبت لهـا كـل يـوم قصيدة تحكى لها نبضى وأحلامى ، توتر علاقتنا نبضها ، مخاوفها كلهـا كانت مثيرة تتحول لقصائد ٠٠

ــ نون ٠٠ زهرة داليا ورغبة محمومة ٠

الـزهرة تذبل اذا لم ترو والقصـيدة التى تصف الزهرة لا تصـدق الا اذا شـممتها ولمسـتها وعـرفت حدودها ٠٠

بدأت خيول الرغبة بيننا تجول فى بريق عيوننـا وتطايرت طيور وحطت طيور وصـار الزرع جزءا من رغبة حب البقاء وحب الحياة نفسها بطعم الحب ورائحة الأحلام ، وامتد الطريق بيننا ٠

ــ نون ٠٠ حبل ومشنقة ٠

المـرأة التى تخون ٠٠ لا ثمن لهـا ٠٠ أما أيامى وأحلامى التى قرضتها فى حبك فليست بلا ثمن ٠

العتـاب .. عقاب لا تسـتحقينه والحساب شرف لا ينوله الا الفرسان أو المتصالحون ..

أما انت أيتها الفيلسوفة الصغيرة .. ماذا أصبحت .. مدعيـة للحـرية فلم تصبحى سـوى دميـة خاوية بلا قلب ..

ـ نون النسوة .. نون الخيانة .. انها ضد قهر الرجل للمرأة .. انها عبودية بشكل أو بآخر ..

الحرية الكاملة هى الطريق لمجتمع متفتح وواع ..

المرأة لديها العقل مثل الرجل تماما وتتفوق عليه .

انها أكثر صبرا وحبا واخلاصا ...

جاء صوتها عبر الهاتف هامسا ، ســائلا فى تردد وحذر • لم أعرف صوتها فلم أسمعه منذ خمس سنوات مضت ••

تعرفت عليها وانا طالب فى الكلية وعندما تخرجت وعدتها بالزواج وبناء بيت صغير يسعنا معا ومع الوقت نكبر سويا بالكفاح • الا ان الأحلام كانت بيننا كمسكنات تشدقناها وتكسرت عند أول منعطف فى حياتنا ، تقدم رجل ثرى لخطبتها ولم تستطع رفضه بعدما وافق والدها وأجبرها على الزواج ••

« حبيبى ••• حياتى ليست لها معنى بدونك •• كيف أعيش بعيدة عنك » •

نسيت كل شىء أو استسلمت ، تزوجت وسـافرت للخارج مع زوجها ورسى المزاد على من دفع أكثر ••

ـ أريد مقابلتك ضرورى ‥ أحتاجك ٠

ـ لم أسمع صوتك منذ سفرك ‥ ماذا تريدين ٠؟

ـ أنا فى احتياج اليك ٠

ـ أنا مشغول جدا ‥ أين زوجك ؟

ـ لم يحضر معى لمصر ٠ أنا أكاد لا أراه ولا أعرف أين هو ‥ ؟

ـ وما علاقتى بهذا ‥

ـ انها مشكلتى أنا ‥ أنا لم أنسك لحظة واحدة ‥ أرجوك اعطنى خمس دقائق فقط من وقتك ، انا لا أطلب الكثير ٠

ـ سأقابلك بعد ساعة فى ميدان التحرير وفى نفس المكان ٠

ـ سأكون هناك ٠

‥ كانت الساعة قرب السادسة مساء وعدد الموجودين فى هذا المكان بالقرب من المحطة قليل ‥ تفرستهم جيدا ، لم أجدها لكن هناك امرأة تنظر لى بتودد واهتمام ، بدأت أنا أيضا فى مبادلتها النظرات الا اننى تراجعت احتراما للموعد ولحضورها فى أى وقت ‥

لكن لماذا اهتممت بهـذه السيدة ؟ ·· الآن بعـد التحقق أعرف السبب انهـا تشبه حبيبتى الأولى ـ الى حد ما ـ لكنها سمينة بعض الشىء ، يظهر عليهـا أثار التعب والخمول · شعرها أصفر مثير أما الأخرى فكان شعرها اسـود وطـويل بلـون اللـون وعذرى هادىء بالاضـافة الى أن عيـون هـذه المرأة مطفأتان بخـلاف محبوبتى كانت عيونها سر جمالها متـوقدة ، ثورية ، متدفقة بالمعانى ·

شعرت بالملل من الانتظار فعدت للمنزل ، بعد فترة دق جرس الهـاتف وكانت هى تسـألنى ·· « لماذا لم أحضر ؟ » فأخبرتها اننى حضرت ولم أجدها ·

ـ كيف أنا كنت هناك قبل الموعد وأرتدى ثـوبا أزرق وحقيبة سوداء وشعرى لونه أصفر ···

البللورية

آمسكت بالفرشاة ، غمستها فى اللون الأزرق ، وضمتها عـلى سطح اللوحة • تناثرت فتات اللون عـلى مساحات الأفق البعيد ثم نثرت عليهـا السحب البيضاء •• سأزيد الافق عتمة بعض الشىء ليشبه شعرها الاسود المتلألىء •

أدرت بعض الموسيقى ، فأنا أشعر ان ذلك النسيج الليلى الحالم يحتـاج الى صـوت عـذب ، نظرت للأفق المرسوم من بعيد ••

هناك شىء ما يقلقنى •• ؟ تحتاج السـماء لبعض النجوم كى تزيدها حيـاة ، ضـوء هلامى يترنح عـلى صفحة الأفق وعلى سطح بحر ليس له نهاية ، سرمدى وله رائحة الرهبة •• الحركة التى فى سحب السماء والسكون على صفحة الماء البعيدة الخـافتة يتناجيان فى همس ، الافق يبتلع الظلمة والضوء يتفجر من قلب الليل مثـل ثغرها وهى تبتسم •

يرتطم المـوج القريب بحـافة الشـاطيء الرملي . تمتصه الرمال يترك حدودا على جبهتها كآثار الزمن على وجه الأيام ، تنسحب ثانية في حيـاء ، تعاود الـكرة ، لا تيأس الأمواج من مغازلة الشاطيء والتودد اليه ..

صوت الموسـيقى تضاءل وتصاخب صـوت البحر والريح الآتية من بعيد وصوت حوافر حصان اشهب . أسرع من البرق وأجمل من النجوم ، يهمس للأرض . فيطير على البساط الرملي آتيا من بعيد بشكل أسطورى، يتطاير شعره المتسربل بلون النور ووقار الليل ..

كان هذا شعورى عندما رأيتك لأول مرة . حصان وحيد فى أفق لا نهائى ، يرغب فى التحليق الى لا نهاية، الى عوالم لا يعرفها الريح تملأ صدرى ، القلب النابض كالموج المتدفق ..

.. بدأت لوحتك تنتهى .. حبيبتى ..

نثرت بعض الطيور فى الأفق وبعض الضـوء فى الطريق وبذورا قد تنبت فيما بعد لونا أخضر منـدى بالفجر الوليد .

.. عاد صوتى الموسيقى ثانية فى أرجاء الغرفة .. فى أرجاء الكون .. أما هى بثوبها الشفاف وجسـدها البللورى وعينيها التاثرتان ..

فغابت فى ظلام الليل البعيد وهمس الأمواج ...

هذه المجموعة القصصية

بقلم: د. نبيل راغب

لعل أهم سـمة نلحظها لأول وهلة فى قصص أمين الصيرفى أنه فنان واديب يستفيد من كل خبراته الفنيه، ولذلك فان أفق التعبير الفنى عنده يتسع للتعبير بالكلمة والصورة فى آن واحد • فهو كفنان تشكيلى مدرك أن الصورة بما تحويه من أضواء وظلال ، ألوان وأبعاد ، أكثر خصوبة من الكلمة التقريرية المبـاشرة ، ولذلك فهو يضع الكلمة فى خدمة الصورة بحيث يستحيل الفصل بينهما ومعرفة الحدود الفاصلة بين هذه وتلك •

كذلك فان الصورة قادرة عـلى اعداد القارىء أو المشاهد نفسيا لما سوف يتواتر بعد ذلك من شخصيات وأحداث ومواقف • فهى تخلق له حالة نفسية يمكن أن تحتويه عـلى مسـتوى الحـواس الخمس ، والمشـاعر والأحاسيس ، والعقل والتفكير • أما الكلمة التقريرية المباشرة فغالبا ما تسعى الى الوصول الى العقل مبـاشرة

والتعامل معه بصفة مجردة · قد تثير بعض الأحاسيس، لكنها ليست اثارة كافية كي يعيش المتلقي في حالة معينة خاصة بجو العمل الفني · فمثـلا فى افتتاحية قصـة « المطاردة » يقدم لنا أمين الصيرفى امكانات تشـكيلية ليس فقط للعين ولكن للأذن أيضا · يقول :

« فوق الردهات الخاوية ، حينما تسقط الأضواء وتبدأ في التلاشي تبقى مساحات الظل العريضـة فوق الطريق الممتـد كالجسـد الميت · والظلمة ، تخفت الأصـوات الصـاخبة في جـوف الليل البارد وترتفع همهمات أوهام ليلية بين الحين والحين تزداد حدتها كلما توغل الظلام ·· تظهر بعض الأضواء على بعد سـحيق ببريق خاطف فى الظلمة الداكنة » ·

ونظرا لاهتمام أمين الصـيرفى البالغ بالصـورة ، فان لغته السردية على وجه الخصوص تحمل فى طياتها شحنات شعرية متعددة الأبعاد والايحاءات ذات الخصوبة الفكرية والوجدانية · وأحيانا أخرى يحمل النثر بين طياته ايقاعات الشـعر وان لم تكن بنفس الوضـوح الموجود فى الشعر التقليدى ولذلك تبدو الأفكار والمعانى غير محددة تحديدا تقريريا ، وهـذا الاتجاه الابداعى يتطلب من القارىء المشاركة الفعالة بفكره وخياله بدلا من أن يلتزم موقفا سلبيا يقنع فيه بالتلقى المجرد · بل ان فى امكان القارىء أن يحول القصة الى تجربة شخصية

له عندما يجد الايحاءات غامضة غموضا مثيرا قد يستمد من عقله الباطن تجارب شخصية مرتبطة ارتباطا شرطيا بأحداث القصة وشخصياتها • ولذلك فان القارىء التقليدى يفتقد الحدوتة التقليدية التى تجعله يتساءل فى سذاجة : ثم ماذا بعد ؟! فيأتين الجواب على طبق من فضة • وهكذا لا يتفاعل مع القصة لأن دوره لا يزيد على مجرد العلم بها • لكن امين الصيرفى يصر على جعل القصة تجربة سيكلوجية مؤثرة ومثيرة دون أن يحدد معانيها وأفكارها فى أطر خانقة ، فهو يفسح لها الأبعاد والمجالات فى محاولة طموح لاستيعاب تجربة انسانية تسعى الى الشمول والعمق بقدر الامكان ، كما نجد قصة « لبعض الوقت » التى لا يزيد حجمها على صفحة واحدة ومع ذلك فهى يمكن أن توحى للقارىء بأبعاد وأعماق أشمل من حجمها بكثير •

وأحيانا يشكل أمين الصيرفى قصته بلمحات موجزة وسريعة كضربات الفرشاة التى يمكن أن توحى بأكبر قدر ممكن من الاسقاطات وتقول أكبر قدر ممكن من الأفكار بأقل قدر ممكن من المساحات اللونية ، وبذلك تتحول القصة الى شحنة شبه متفجرة لا تسمح بالمتلقى بأنه يلتزم قبالتها موقفا سلبيا ، بل عليه أن ينفعل بصرف النظر عن نوعية الانفعال الذى يختلف من متلق لآخر اختلاف بصمات الأصابع • تبدو ضربات الفرشاة واضحة فى قصة « جدار بارد »

« كان الجدار فى ذلك الوقت منـدى بماء بارد . ذكرنى بثـلاجة المشرحة وبرودة الجثـة الراقدة تحت غطاء أبيض . عندما أخذونى فى ذلك المساء كى أتعرف عليها بعد الحادث .

الكتاب الجامعى فى ذلك الوقت ثمنه سبعة جنيهات بثمن كيلو اللحم .. لكنها أكثر مبيعا .

دخول الجمعية أصبح شيئا صعبا والسوق السوداء أقصى من مرتبات الحكومة .. أما دخـول الكلية فشىء سهل سهولة الغش فى الثانوية العامة » .

هكذا تتجمع ضربات الفرشاة السريعـة المتـلاحقة دون رابط تقليدى صريح يصل فيما بينها ، اذ أن هذا الرابط لا يتضح دراميا ونفسيا الا فى نهاية القصـة عندما يكتمل أثرها الكلى ومعناها العام الذى لا يمـكن استخراجه من جزئية واحـدة بعينها وانما من خـلال تفـاعل كل الجزئيـات أو الخـلايا فى جسـد القصـة العضوى .

والتقابل بين المسـاحات اللونيـة واضح بدلالات درامية لا تحتاج الى تقرير أو تحديد ، كمـا نجـد فى الغطاء الأبيض الذى يلف الجثـة الراقدة فى برودة ، والسوق السـوداء التى تلتهم مرتبـات الحـكومة فى « جـدار بارد » . أما فى قصـة « دخان أزرق » فمن

العنوان نفسه يوحي اللون بالنسيج الذى سينسج منه أمين الصيرفي قصته ، والذى سيغلب عليه اللون الأسود:

« أحب صوت الطبول تجعلنى أشعر أننى فى غابة آفريقية فى زمن الأحراش وآكلى البشر ، خطوط على الجباه ، اشياء مدلاة من الأعناق والأنوف • الجلد الممزق والسحر الاسود • كل شىء مباح بحد السكين والبقاء للأقوى • هناك فى غابة سوداء • أماكن لا يعرفها بشر • لكل شىء أنياب وآظافر » •

واذا كان أمين الصيرفي يستفيد ببراعة من امكانات الفن التشكيلى بحكم كونه فنانا تشكيليا ، فانه يستغل أيضا معطيات المونتاج السينمائى الذى يثير المعانى من خلال العلاقات الموجودة بين اللقطات المتتابعة وليس فى كل لقطة على حدة • وعلى القارىء أو المتفرج أن يقوم بالربط مما يزيد من متعته الروحية والنفسية لأنه يشعر أنه يشارك الفنان فى عملية الابداع الفنى•

وهذا المنهج السردى يناسب القاص الذى يستمد معظم مادته الخام من العقل الباطن للربط بين الماضى والحاضر أو بين الأسباب والنتائج • بل ان بعض قصص أمين الصيرفي القصيرة جدا مثل « ورقة أخيرة من مذكرات طفل » تعتمد فى اقامة بنائها كله على مخزونات العقل الباطن •

وبحكم أن الأحلام هى أكبر متنفس للعقل الباطن عند كل الناس فان أمين الصيرفى يكتب قصة بعنوان « الكابوس » يقسمها الى ثلاثة مشاهد : « اليوم الأول — اليوم الثانى — اليوم الثالث » ، ويبدو فيها وعيه باستخدام الرموز الموحية بكل المعانى التى يريد بثها فى القصة مثل أرغفة الخبز ، وقطعة الحجر ، وثعبان قبيح المنظر ، والحائط ، ثم القاعة الفارهة الخالية الساكنة ، والألوان الشفافة فى اللوحات الجميلة ، والضوء المعتم ، وصفير الرياح ، والفراشة ، وقطع الثلج ، والأتربة ، والدماء ثم فى اليوم الثالث : قيد المعصم ، فنجان القهوة ، القلم الجارح ، والدم النازح المتحجر .

وكلها رموز يمكن أن نطبق عليها منهج التفسير الرمزى الذى ورد فى كتاب فرويد « تفسير الأحلام » كما يمكن الاستفادة بها فى مجال الايماءات الدرامية التى لا يمكن تحديدها فى أطر ضيقة . وهو المنهج الذى ينطبق أيضا على قصة « جزر الأحلام » التى يهجر فيها أمين الصيرفى كل بقايا الواقعية الخافتة عنده الى خضم السيريالية حيث تتغير نسب الأشياء وتفقد دلالاتها الواقعية المتعارف عليها :

— « آه .. ما أفظع هذا .. أنا فى عمرى لم أر مخلوقا كهذا .. من المؤكد أنه ليس من كوكب الأرض .. رأيك من أين سقط هذا الحيوان الخرافى الى الأرض !

ـ رغم أن منظره جميل لكنه غريب ·· له رأسان وأربعة أرجل وأربعة أذرع وجسدان وعقــلان وقلبان ·· وروح واحدة ·· ما أغرب العالم » ·

وفى مكان آخر فى القصة نفسها يقول :

« أفلتت من بين ذراعى ·· جرت وعنــدما تعبت جلست عــلى العشب الأخضر ·· وتمــددت ·· تحــول جسدها الى زهرة بيضــاء مزروعة فى قلب الخضرة ·· جريت ·· طرت بجناحين صغيرين ·· تحولت الى طائر صغير يدور حولها فى دوائر » ·

ومن خلال هذا الجانب السيكلوجى فى قصص أمين الصيرفى يتضح لنا مدى شوق الانسان المحرق الى الحب والبراءة والطفولة فى عالم فقد كل هذه العناصر التى تغرى الانسان بالحياة ! كل انسان لا يرى سوى الأنا ومع ذلك فهو عاجز تماما عن تحقيق هذه الأنا ، لدرجة أنه يقول فى قصة « الأنا » ·

« كل أحلامى أن أكون مواطنا عاديا ·· هذا فى حد ذاته حلم ·· فالسلام والسكون اليوم مطمع ···· الخبز ·· حلم ·· الماء ·· حلم ·· السكن ·· حلــم ·· المجارى ·· الحياة ·· الـ ·· فى أى حلم مطمح · صديقى » ·

ثم ينعى حظه فى نهاية القصة :

«اننى أفتقـد كل شىء ٠٠ الأيام تنســاب من بين أصابعى ٠٠ العالم يجرى فى جنون ٠٠ الأسماك هـذا الزمن تتوحش ٠٠ كيف أحيا بقلب طفل كما كنت ٠٠»

وهى النغمة التى تسود معظم قصص هذه المجموعة، فالزمن لم يعد يسمح للانسان بالحب والبراءة والطهر كما فى قصة « تصالح » :

« اننى أعرف الحب ، قلبى غير مدنس بالكراهية ٠٠ غير أن الأيام صعبة ، تشغلنى عنك ، أنساك أحيانا ٠٠ سامحنى ٠٠ هل تريد أن نعود أطفالا ٠٠ ؟ أقصـد كما كنا ونحن صغار ٠٠ بقلب واحد وعقل واحد ٠٠ فلنتصالح ٠٠ هل تقبل ٠؟ مد يده ٠٠ فارتطمت أصابعه بالمرآة التى أمامه ٠٠ ابتسم ، أسرع لصـنبور المـاء ليغسل وجهه » ٠

ولم يعـد الشـقاق قاصرا عـلى علاقة الانســـان بالآخرين ، بل توغل ليفسد علاقته بنفسه ، فهو يسعى جاهدا كى يتصالح مع نفسه لـكن يبـدو أن نجـاحه لو تحقق سيكون مؤقتا وعابرا لأن ضغوط الحياة سرعان ما تحدث الشقاق مرة أخرى ٠ انه زمان فقد كل معانى الحياة الحقيقية ، زمان لم تعد فيه فروسية ولا خيول ٠ وخـير تعبير فنى عن هـذا العبث ، هـذه الصـــورة السيريالية :

« الخيول لم تعد فى هذا الزمن كما كانت من قبل

فى عصر الفرسان القدماء ·· خيـول اليـوم قصـار الرقاب، عرجاء ، عجفاء ، لا تصهل لكنها تبكى وتنتحب، خيولنا كماعز بلا رءوس ، بلا أرجل ولا أذرع ·· كائن غريب هلامى الشـكل ·· يسـتحيل الى شىء مفزع ·· لا أحد يستطيع أن يمتطيها · اذ قد تنفجر فى أية لحظة دون أن تدرى ·· وهذا هو السبب الرئيسى لعدم وجود فرسان فى هذا الزمان » ·

ولا يمـكن لأى أسـلوب تقريرى مباشر أن يدين العصر كله كما تدينه هذه الصورة السريالية التى تقول أكثر وأكبر من حجمها على الورق · فهو عصر قتل فيه الحلم والأمل والمستقبل كما نجد فى قصة «أمير الرمال» التى تنتهى بالطفل يقف محدقا فى البيت الجميل الذى بناه بالرمال ، تحديقا جعله يغيب عن الدنيـا لفترة · يحضر والده ليأخذه الى المنزل للغداء ، فيمسك بيـده ويجذبه ، يصرخ الطفل محاولا أن يثنيه عن عزمه بعدم رغبته فى الطعام ··

يصر الأب ويزداد جذبه لابنه الطفل ، بل ويضرب البيت الرملى بقدمه وهو يسحب الطفل الباكى فى حرقة، والناظر خلفه الى القصر المحطم ·· كان يبكى من أجل الأميرة التى تسكن قصره الرملى وأبوه لا يزال يجـره بشدة » ·

أى أن هذا العصر لا يعترف سوى بطعام الجسـد أما طعام الروح والنفس فلا يستحق سوى ركلة بالقدم ·

ولا تقف المأساة عند هذا الحد بل تتجـاوزه حتى نرى أن الحلم هش كقصر من رمال لا يمكن أن يصمد لأول هزة من هزات الواقع • ولذلك أصبح تعلق الانســان بالحلم في هذا العصر مثل تعلق الغريق بقشة في بحـر متلاطم الأمواج ، هائج الأعاصير •

ان وطأة الــواقع فى قصص أمين الصـيرفى تكاد تسحق الشخصيات وتزهق الأنفاس، ولذلك تبدوالأحلام والآمال والرغبات مجرد أوهام وأطياف سارية لا يمكن الامساك بها • وهذا الجو الكابوسى الذى يحيطالقصص بالموت والعدم والضـياع والدم والانهيار والاندثار ، هو فى واقعه صرخة الانســان ضـد كل هذه العناصر المتربصة به • ولذلك فهذه القصص لا تثير التشـاؤم والاستسلام والخضوع والخنوع والتذلل بقدر ما تحرك ارادة الانســان كى يتحـداها • ومن هنـا كانت بعض القصص تنتهى بابتســامة غامضـة للبطل أو للشخصية الرئيسية • فعلى الانسان أن يتحدى ويحـارب حتى لو كان يملك سلاحا خشبيا مثل « دون كيشوت » فى قصة « فارس بعد منتصف الليل » • وحتى لو لم يوفق فى محاولته هذه ، فيكفيه شرف المحاولة واثبات الوجود فى حد ذاته :

« تراءت لى من بعيـد ذات عيون جاحظـة وأفواه مفتوحة ، تصرخ • أقفز فى الهواء ، أضربها محـاريا

اياها · لم أعرف كم من الوقت مر على وأنا أحاربها مثل « دون كيشوت » وطواحينه الهوائية ، مستمتعا بوهم فروسيتى ، ظللت أقضى عليهم ، يتساقطون ·· أصيح من الفرح ، لا أشعر بالتعب بعد ما دمت منتصرا · يتزاحمون حولى ، أقاوم بسلاحى الخشبى ، أقتل من يقترب منهم العشرات والعشرات · وأنا وحدى فى المنتصف رافعا سلاحى ، أطيح بهم على جانبى طريقى ·· فى النهاية ·· تعبت وقمت فخورا بنفسى » ·

هذا هو قدر الانسان شاء أم أبى ! فلا تزال هناك ارادة التحدى ونور الأمل مهما كان خافتا كما نجد فى قصة « حصان الفارس الصغير » التى تذكرنا نهايتها بالنهايات فى قصص تشيكوف القصيرة الزاخرة بالعذوبة والشجن من خلال علاقة الحب التى تشمل الوجود كله وتتجلى فى أبهى صورها بين الانسان والحيوان :

« الحصان منطو فى ركن مظلم من الحظيرة ، يرفض الطعام من وقت مرضه · لا أعرف ماذا أفعل له ·· انه يكاد يموت ·· (كان الصوت صوت أبى) ، سمعت هذه الكلمات كأنها تأتى من زمن سحيق · فتحت عينى وقمت · تجمعوا حولى · حاولوا منعى من الوقوف لكننى أصررت · قمت · اتجهت الى الخارج ، أمى حاولت منعى · رجوتها · ذهبت الى الحظيرة · وجدته منزويا

بجانب مظلم ، يضع رأسه أمامه على الارض ممـددا . عندما رآني على الضوء الضعيف المتسلل من بين جدران الحظيرة الخشبية . نهض منتفضـا . صـهل . التمعت عيناه . اقترب مسرعا ووضع رأسه على كتفي . شعرت بارتياح ودفء ، ومددت يدى لأضع في فمه قطعتين من السكر » .

ان قصص أمين الصيرفي تثير حديثا ذا شجون ، اذ أن علاقتهـا الحميمة بالنفس البشرية وتوغلهـا في دهاليزها المظلمة في شكل فني درامي متميز ، يجعل من قراءتها متعة فكرية ووجدانيـة لا يمـكن انكارها أو تجاهلها . وأمين الصيرفي بهذا يوسع من رقعة التقاليد التي تترعرع عليها القصص القصيرة من خلال معاناته الفكرية ، وحسه التشكيلي ، ووعيه الانساني ، وتمكنه من عناصر الدراما والرمز واللغة الفنية . انها مجموعة قصصية مثيرة للاستمتاع وجديرة بالاهتمام وليس بالقراءة فقط .

فهرس

الموضـــوع	الصفحة

صدر من هذه السلسلة :

١ ــ شوارع تنام من العاشرة	(قصص)	أحمد محمد حميده
٢ ــ باب الريح	(قصص)	نبيه الصعيدى
٣ ــ حكاية عروسة البحر	(شعر)	حجاج الباى
٤ ــ الدم وشجرة التوت الأحمر	(رواية)	محمد عبد الله عيسى
٥ ــ وقائع موت الجياد	(شعر)	عصام الغازى
٦ ــ الشاطر حسن ٠٠ يخيب	(قصص)	عبد المنعم الباز
٧ ــ ٠٠ وعائد اليك	(شعر)	المنجى سرحان
٨ ــ مهزلة عائلية	(مسرحية)	جمعة محمد جمعة
٩ ــ قصاصات حب	(قصص)	اسماعيل على
١٠ ــ تاريخ يؤرقه الظمأ	(قصص)	مشهور فواز
١١ ــ بقايا انتظار	(شعر)	عبد الفتاح منصور
١٢ ــ اعدام قيس بن الملوح	(مسرحية)	محمد عبد العزيز شنب
١٣ ــ نقرش الدم	(رواية)	رجب سعد السيد
١٤ ــ تأملات فى وجه ملائكى	(شعر)	عبد الله السيد شرف
١٥ ــ الصعود الى القصر	(قصص)	مصطفى الأسمر
١٦ ــ اغتراب ٠٠	(شعر)	ناجى عبد اللطيف
١٧ ــ والفجر	(قصص)	جمال نجيب التلاوى
١٨ ــ فيضا يكون العشق	(شعر)	عبد المجيد أحمد
١٩ ــ حكاية بنت الضحى	(قصص)	خيرى عبد الجواد
٢٠ ــ خديجة بنت الضحى الوسيع	(شعر)	سماح عبد الله
٢١ ــ فارس آخر زمن	(مسرحية)	حسن شلنده
٢٢ ــ شهرزاد	(شعر)	نجوى السيد
٢٣ ــ من ثقب الحزام	(شعر)	محمد هويدى

٢٤ ـ العطش	(قصص)	فاروق الأفندى
٢٥ ـ الزحمة	(شعر)	نصر الدين رحمى
٢٦ ـ تداعيات العشق والغربة	(قصص)	صلاح والى
٢٧ ـ السيف والوردة	(قصص)	حسن الجوخ
٢٨ ـ رحيل م٠م	(شعر)	مهدى محمد مصطفى
٢٩ ـ تراب على وجه القمر	(قصص)	رشدى أحمد معتوق
٣٠ ـ بلغنى أيها الملك	(مسرحية)	فتحى فضل
٣١ ـ الديك فى السيارة	(قصص)	محمد السيد سالم
٣٢ ـ ابناء النهر	(قصص)	على عيد
٣٣ ـ وحتما سيعود	(مسرحية)	أحمد أبو سديرة
٣٤ ـ بقايا شموع	(شعر)	محمد فرج
٣٥ ـ بيت آل شحات	(مسرحية)	جمال فاضل
٣٦ ـ الليلة ٠٠ نحكى	(شعر)	مجدى الجلاد
٣٧ ـ وجه العالم	(قصص)	سعيد عبد الفتاح
٣٨ ـ فصل من التاريخ الخاص	(قصص)	حزين عمر
٣٩ ـ النورس	(قصص)	ابتهال سالم
٤٠ ـ فصول من كتاب الليل	(شعر)	فؤاد سليمان مغنم
٤١ ـ رجل فى الظل	(قصص)	عبد الفتاح يونس
٤٢ ـ الجلوس خلف الأبواب	(مسرحية)	محمدالشربينى
٤٣ ـ التائهون	(قصص)	كاميليا كمال الدين
٤٤ ـ العيون الملهمة	(شعر)	محمد محمود عبد العال
٤٥ ـ قمر بوبا	(قصص)	ابراهيم فهمى
٤٦ ـ الميلادوحكايات الخريف	(شعر)	يس الفيل
٤٧ ـ الرقص فوق البركان	(قصص)	حسين البلتاجى
٤٨ ـ موسم زرع البنات	(شعر)	كوثر مصطفى
٤٩ ـ تنويعات على رأس رجل محبط	(قصص)	عزت عبد الوهاب

٥٠ ـ	أزهار برية	(مسرحية)	عبد الشافى داود
٥١ ـ	انتظار	(شعر)	محمد فكرى
٥٢ ـ	ورقة من بطاقتى	(شعر)	النبوى سلامة
٥٣ ـ	ماسار	(مسرحية)	أنور جعفر
٥٤ ـ	الخيل والليل وزهور البنفسج	(شعر)	محمد هاشم
٥٥ ـ	طائر الحب	(قصص)	اسماعيل بكر
٥٦ ـ	الخروج واشتعال سوسنة	(شعر)	عبد الناصر هلال
٥٧ ـ	العاشقون	(قصص)	نعمات البحيرى
٥٨ ـ	طالعين لوش النشيد	(شعر)	سمير البرنبالى
٥٩ ـ	أرجوكم ارحلوا	(قصص)	جمال بركات
٦٠ ـ	آخر ما قالته الملكة	(شعر)	طه حسين سالم
٦١ ـ	عيون الدهشة والحيرة	(قصص)	محمد عبد الله الهادى
٦٢ ـ	نور النار	(قصص)	فؤد حجاج
٦٣ ـ	عندما جاءت الأمطار	(رواية)	ابراهيم محمود حمدى
٦٤ ـ	أغنية أولى	(شعر)	عماد غزالى
٦٥ ـ	للمدينة وجه آخر	(قصص)	زكريا السيد عبيد
٦٦ ـ	خلف جبال الشمال	(شعر)	اسماعيل أبو زيد
٦٧ ـ	من يضحك كثيرا	(قصص)	هشام قاسم
٦٨ ـ	قلبى وأشواق الحصار	(شعر)	عيد عيد صالح
٦٩ ـ	يوميات خلود	(قصص)	خالد الصاوى
٧٠ ـ	النبوءة	(شعر)	عصام أبو زيد
٧١ ـ	قبل الخروج من الطابور	(قصص)	سعد عبد الحميد
٧٢ ـ	لبلابة فى القمر	(شعر)	مصطفى النحاس أحمد
٧٣ ـ	من ديوان العشق	(قصص)	سمير فوزى
٧٤ ـ	كائنات فى انتظار البحث	(شعر)	محمد السيد اسماعيل
٧٥ ـ	أرخص الدموع	(قصص)	السيد الجندى
٧٦ ـ	شوقا اليك	(شعر)	سعد عطية

العدد القادم :

٣ ألحان من عيونك (شعر) محمد الغيطى

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة الصحف .
- مكتبة الهيئة .
- المعرض الدائم للكتاب بمقر الهيئة .
- منافذ التوزيع فى مكان وفروع الثقافة الجماهيرية وهى كما يلى :
  - الوادى الجديد .. الداخلة والخارجة .
  - البحيرة .
  - المنيا .
  - بورسعيد .
  - دمياط .
  - فارسكور .
  - القليوبية (بنها) .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٨٨٨٧

ISBN — 977 — 01 — 2866 — X